أحمد حسين

الحرب

على هدى القرآن والسنة

الطبعة الخامسة

رقم الإيداع:

٢٠٠٣/١٥٧١١

التوزيع:

ت : ٤٧٨١١٦٧ ـ ٠١٢/٣٣٧٥٤٠٤

موقع جريدة الشعب على الانترنت:

www.alshaab.com

www.alarabnews.com

موقع حزب العمل:

www.el3amal.com

الإشراف الفنى

طارق الكركيت

مقدمة الطبعة الخامسة

هذا الكتاب احتفظ بحيويته وجلائه رغم مرور أكثر من نصف قرن على كتابته.. لأنه استند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

وقد اخترت هذا الكتاب من بين كتب أحمد حسين العديدة التى نفذت جميعا لارتباطه بالأحداث الراهنة. فكانت الطبعة الرابعة بمناسبة الحرب العدوانية الأمريكية على العراق وما أعقبها من استسلام مدريد. وتأتى هذه الطبعة أيضا بمناسبة الحروب العدوانية الأمريكية الأخيرة على العراق، بعد حرب أفغانستان، وهما حربان أديتا إلى احتلال البلدين.

ورغم هذه الحملة العسكرية الاستعمارية التى شملت أيضا فلسطين ومناطق متفرقة عديدة من العالم الإسلامى باسم محاربة الإرهاب، إلا أن العملاء والخونة لا يكفون عن حديث «السلام»، وأن الإسلام دين سلام.. والحقيقة أن الإسلام دين سلام وحرب.. دعوة وجهاد .. مصحف وسيف ..عقيدة وشريعة.. وعندما يعتدى على أرض المسلمين فلا مجال

للحديث عن السلام.. وانما الحرب ثم الحرب ثم الحرب.. حتى ينسحب المعتدون من كافة الأراضى المحتلة، وعندئذ يمكننا الحديث عن السلام من موقع عزة المؤمن.

والقتال سنة من سنن الله فى خلقه، وسيظل مستمرا إلى يوم الدين، ولا يقلل من حجمه ومن عذاباته ، أو يوقفه إلا الاعتصام بالقوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

وبالتالى فإن دعايات السلام المطلق التى يروجها حكام الخيانة، هى أخطر ما يواجه أمتنا العربية والإسلامية، لانها تسلمنا للأعداء بلا ثمن ، وحتى يبقوا هم فى كراسى الحكم.

وهؤلاء الحكام لايستطيعون أن يبدلوا سنن الله ، فالحروب مستمرة على أشدها، ولذلك فهم فى الحقيقة يقاتلون ولكن فى صفوف الأعداء، ولو من خلال تقديم التسهيلات والقواعد والدعم السياسى والإعلامى.. ومنذ صدور الطبعة الماضية وحتى الآن مر أكثر من عقد من الزمان ، تابعنا فيها حروبا على أراضى بلادنا وفى مختلف أنحاء العالم.

فى العالم العربى الأفريقى.. تابعنا حربا أهلية فى الجزائر

كانت وراءها أصابع أجنبية، وحربا متواصلة على السودان انطلاقا من بعض دول الجوار واستنادا لحركة التمرد العميل.. وضربت أمريكا السودان بالصواريخ.. وتواصلت الحرب الأهلية والتدخلات الأجنبية في الصومال، وحدثت حرب بين ارتريا وأثيوبيا.. وفى العالم العربى الآسيوى تواصلت حرب التحرير اللبنانية حتى طرد المحتل الصهيونى، بينما تواصلت فى فلسطين حرب من نوع خاص بدون انقطاع خاصة فى السنوات الأخيرة (الانتفاضة)، وفى العراق لا زلنا نتابع حربا ضروس بعد الاحتلال الأمريكى بين المقاومة العراقية والمحتل ، وفى اليمن تتدخل القوات الأمريكية الجوية لضرب الإسلاميين. وفى أفغانستان حرب طاحنة منذ قرابة العامين ضد الغزو الأمريكى، والحرب مستعرة فى كشمير والشيشان والفلبين.

وفى المقابل حدثت عمليات ثأر قام بها إسلاميون ضد الأمريكيين فى مختلف أنحاء العالم العربى والإسلامى وفى افريقيا والولايات المتحدة.

وتشهد القارة الأفريقية حربا متواصلة تبدو حروبا أهلية فى شكلها، ولكنها فى جوهرها حروب بالوكالة بين النفوذين الفرنسى والأمريكى.

وتهدد أمريكا بحروب ضد إيران وسوريا.

إذن فان طبول الحرب لم تتوقف أصداؤها، وما تزال تقرع آذاننا ، وكما نرى فان معظم حزام الحروب يتركز فى المناطق الإسلامية.. والخونة وحدهم هم الذين يواصلون الحديث عن السلام فى هذه الأجواء. وكما ذكرت فانهم لا يبدلون سنن الله ولكنهم ينضمون عمليا إلى الطرف الآخر المعتدى، وهم بذلك يعرقلون صحوة الأمة. ولكن الأمة تتقدم إلى الجهاد المسلح رغم أنفهم.. ونرى أروع النماذج الجهادية فى فلسطين والعراق والشيشان وكشمير وأفغانستان والفلبين واندونيسيا.

وعلى المستوى الرسمى رأينا الدول الإسلامية تحاول الأخذ بأسباب القوة ، وإيران الآن أبرز مثال فى تطبيق شعار «وأعدوا» فى مجال الصناعات الحربية والتكنولوجية، وقد ضرب العراق لأنه حاول فى هذا السبيل وليس لأى سبب آخر، وكذلك يحاول السودان فى حدود امكانياته، ونجحت باكستان فى امتلاك السلاح النووى والصاروخى.

ورغم أن هذه التطورات ليست كافية لردع الأعداء تماما، إلا أنها تشير إلى بداية اعتدال الميزان، والذى يبدأ بادراكنا بالواجب الملقى على عاتقنا لحماية أنفسنا وديننا وأوطاننا من أطماع الغزاة

الذين أصبحوا بين ظهرانينا ، ولم يعد خطرهم مجرد خطر نظرى. إننا نعيش الآن حربا من جانب واحد .. من جانب الأعداء.. أما حكام العرب والمسلمين فيتظاهرون بأنهم لا يرون شيئا أو أن الأمر لا يعنيهم .. والحركات الشعبية هى التى تقاتل وحدها ضد الأعداء .. نحن نشهد صحوة أمة لا يعرقلها إلا الحكام.. ولكن عجلة التاريخ تدور.. وستتحول رايات الجهاد من موقع المعارضة إلى موقع الحكم بإذن الله.

مجدى أحمد حسين

القاهرة ٧/٨/٢٠٠٣

magdyhussien@hotmail.com
magdyhussien@gawab.com

مقدمة الطبعة الرابعة

فى إطار إعادة طبع أجزاء من تراث أحمد حسين يأتى كتاب (الحرب على هدى القرآن والسنة) الذى ينطوى على رؤية نحن فى أمس الاحتياج إليها فى ظروفنا الراهنة..

فقد بلغ الوهن مداه وانتشر فى أوصال جسد الأمة العربية والإسلامية انتشارا سرطانيا..

والوهن هو (حب الدنيا وكراهية الموت) كما وصفه سيدنا محمد ﷺ.

فعلى الرغم من العلامات المضيئة المتمثلة فى الروح الجهادية والقتالية للعرب والمسلمين فى بعض البقاع خاصة فلسطين وأفغانستان، إلا أن الروح العامة والسائدة هى الروح الانهزامية والإستسلامية حيث تقود معظم الأنظمة الحاكمة فى بلاد العرب والمسلمين الترويج لمفاهيم مبتذلة حول «السلام» و«الشرعية الدولية».. «السلام» الذى لا يعرف مكانا لمصالحنا وأمانينا وحقنا فى الحياة الكريمة، و«الشرعية الدولية» التى يتم توصيفها وفقا لمصالح قوى الاستكبار العالمى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى مصر بلدنا ، حيث من المفترض أن تكون مركزا قياديا للحضارة العربية الإسلامية، فانها تعيش واحدة من أسوأ فترات

حياتها، مرحلة كامب ديفيد.. حيث تم الترويج لشعارات زائفة عن السلام، وهو سلام إسرائيلى أمريكى إن جاز أن يسمى الاحتلال الصهيونى والسطوة العسكرية الإسرائيلية على العرب سلاما.

وأعلنت شعارات كثيرة.. لعل من أهمها القول بأن «حرب اكتوبر هى آخر الحروب».

وامتلأت وسائل الإعلام بقصائد المديح فى السلام وقصائد الهجاء فى الحرب باعتبارها من الشرور التى انتهت والتى كان ينبغى لها ان تنتهى.. بدون التفرقة بين السلام العادل والسلام الجائر. وبدون التفرقة بين الحرب العادلة المشروعة والحرب العدوانية غير المشروعة. لم يكن هناك من هدف لكل هذه الحملة أو (غسيل المخ) إلا تبرير الاستسلام أمام مطالب إسرائيل التوسعية والاعتراف بوجودها الاستيطانى على أرض فلسطين.. ومن المعروف ان الحديث عن السلام كان أشبه بالحب من جانب واحد، فإسرائيل لم تنقطع عملياتها العسكرية العدوانية ضد لبنان وسوريا والشعب الفلسطينى فى الاراضى المحتلة، وضد العراق وتونس.. والإعلان عن ضم الجولان والقدس لإسرائيل.. والضم الفعلى الذى يجرى على قدم وساق للضفة الغربية وقطاع غزة.. فى الوقت الذى تم تقييد جيشنا المصرى بنزع

سلاح سيناء، تحت اشراف ورقابة قوات متعددة الجنسية على رأسها قوات أمريكية.

وخطورة خط «السلام» الذى ينتهجه الحكم فى مصر انه خط استراتيجى وليس خطا تكتيكيا.. فقد كان من الممكن أن يوقع نوعا من الاتفاق مع الأعداء أشبه بالهدنة، تطول أو تقصر، مع استبقاء حالة اليقظة والاستعداد.ولكن خط كامب ديفيد قام على ترويج مفاهيم الاسترخاء والإستخزاء ونشر روح الدعة والاستسلام والخوف من الحروب ومن الموت.. وكان هذا ضربا فى صميم مفهوم الأمن القومى .. والفت فى عضد وكيان الأمة التى تحيطها الأخطار من كل جانب.

وعلى الصعيد العالمى.. فان كثرة الحديث عن السلام لم يكن إلا حديثا منافقا.. فلجأت القوى العظمى الإستكبارية إلى استخدام القوة فى كل وقت عن لها أن مصالحها تقتضى استخدام القوة.. والأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى.. ولكن قوى الإستكبار العالمى استخدمت القوة بصورة مباشرة فى بعض الأحيان، واستخدمتها بالوساطة فى أغلب الاحيان.. ولو لاحظنا هذا الأسلوب الاستعمارى الجديد يمكننا ان نقرر ان الحرب لم تنقطع لحظة واحدة فى مختلف أركان الأرض.

بالنسبة للولايات المتحدة فقد شنت عدوانا عسكريا مباشرا على جرينادا وبنما واحتلتهما واعتقلت رئيس بنما فى سابقة

لامثيل لها.. وشنت عدوانا جويا على ليبيا .. وأخيرا جاءت حرب الخليج التى تم فيها تدمير البنية الأساسية للعراق، فيما لم يكن ضروريا لاخراج القوات العراقية من الكويت،وتم خلال هذه الحرب القذرة قتل قرابة ثلث مليون نفس عربية، ويتبعها الآن تواجد عسكرى دائم فى الكويت والسعودية وباقى دول الخليج .. ومن قبل قامت القوات الأمريكية بعمليات عسكرية ضد إيران .. وقامت باختطاف طائرة مصرية لاعتقال من بها من فلسطينيين.. وهكذا فإن الآلة الحربية الأمريكية لم تنقطع عن العمل والحركة طوال السنوات الماضية.. التى تعالت فيها نغمة الدعوة للسلام العالمى..وقامت بريطانيا بحرب ضد الارجنتين للاحتفاظ باحتلال جزر المالوين (حرب فوكلاند).. كما لم ينقطع الجيش الفرنسى عن نشاطه فى دول غرب افريقيا (الفرانكوفون).. وفى تشاد..

أما الاتحاد السوفيتى ـ عندما كان فى عافيته ـ فقد قام باحتلال أفغانستان وشن حربا ضد الشعب الأفغانى لفرض الحكم الشيوعى عليه.

أما الحروب التى شنتها القوى العظمى بالواسطة فهى أكثر من أن تعد أو تحصى ، فكل الحروب المحلية والأهلية.. ما هى فى أغلبها إلا نزيف دم تموله هذه القوى فى مختلف بلدان أمريكا

اللاتينية وآسيا وافريقيا.. للاحتفاظ بالانظمة الموالية لهم أو للإطاحة بالأنظمة غير التابعة لهذه القوى .. والتمرد فى جنوب السودان أبرز مثال على ذلك، حيث تموله أمريكا وإسرائيل لاستنزاف السودان ومناوأة الحكم ذى التوجه الإسلامى الاستقلالى.وشريان الدم لايتوقف عن النزيف ويلف الكرة الأرضية .. وإطلاق النار لايتوقف من الفلبين.. إلى كشمير.. والنزاع الهندى ـ الباكستانى .. إلى حروب أهلية متقطعة فى إطار الاتحاد السوفيتى.. إلى النزاع الأفغانى.. إلى النزاع الكردى فى العراق وإيران وتركيا ..إلخ إلخ.

ووسائل الإعلام الغربى ـ منافقة إلى أبعد حد ـ وهى كما تملك من وسائل الكشف وتسليط الاضواء.. تملك إمكانيات الاخفاء والتمويه وهى تبرز ما تشاء وتخفى ما تشاء.

وقد جاءت حرب الخليج بموجة جديدة من غسيل المخ.. ورغم ما مثلته هذه الحرب من أكبر حشد عسكرى منذ الحرب العالمية الثانية، حتى اننا يمكن أن نسميها حربا عالمية ثالثة من طرف واحد (التحالف الأمريكى الغربى) وما مثلته من تدمير لامثيل له.. إلا أنها قُدمت باعتبارها انتصارا للسلام وللشرعية الدولية وكأنها آخر الحروب.وما هى إلا محاولة جديدة للتزييف. وليس هناك ما هو أدل على هذا التزييف من استمرار الحصار

الحربى لدولة وشعب العراق لفرض مقاطعة اقتصادية لم يسبق لها مثيل، وما هذا الحصار إلا أحد اشكال استخدام القوة.

وتاريخ البشرية يؤكد أن الصراع بين البشر - لأسباب متنوعة - سنة من سنن الله فى خلقه، وأن الحروب هى أحد أشكال هذا الصراع غير المنقطع الذى يتفجر فى هذا المكان ليهدأ فى مكان آخر، ويتوقف فى زمان لينبثق فى زمان آخر.

وهو ما عبر عنه الله جل شأنه فى محكم آياته.. ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

ان مسار الأحداث فى العالم - وفى منطقتنا بالتحديد - يوضح كيف تتوالى الهجمة الاستعمارية المسلحة لوأد أى محاولة للنهضة العربية الإسلامية. ولتدعيم الوجود الصهيونى على الأرض كضمان لاستمرار المشروع الاستعمارى فى صورته الجديدة.. التبعية الاقتصادية والسياسية الشاملة. ان تربية أبناء شعبنا على الفزع والخوف من الحرب ما هو إلا أداة من أهم ادوات هذا المخطط لتنشئة أجيال جديدة على روح الخنوع والاستكانة.. على القابلية والاستعداد الذاتى للاستعمار والتبعية.

ولن تقوم لهذه الأمة قائمة إلا باستعادة روح الجهاد.. وأخلاقياته ومثله، فعن هذا الطريق وحده يمكن سحق المخطط

الاستعماري الخارجي.. ويمكن بالتوازى مع ذلك بناء صرح حضارى مستقل جديد يستمد جذوره ويرتوى من النبع الصافى للإسلام. هذا وقد قدم أحمد حسين لهذا البحث فى أبريل عام ١٩٧٤ بمقدمة هامة جاء فيها: « هذا البحث عن « الحرب » كتبته منذ أكثر من ثلاثين سنة، ودرست فيه موضوع الحرب من حيث كونها أحد نواميس الطبيعة، ومتى تكون مشروعة ومتى لا تكون كذلك، وعن عناصرها التى تحقق النصر، وذلك كله على هدى القرآن والسنة المحمدية. وقد كتبت هذه الرسالة على وهج ١٣٩٣ هجرية (٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣) والنصر الذى تحقق لمصر والعرب والمسلمين بعامة، عدت إلى هذا البحث فإذا به بعون من الله وفضل خير ما يوجه للمسلمين فى الوقت الحاضر ، وخاصة شبابنا المقاتل فى الجبهة أو وراء الجبهة، وكم أسعدنى وأنا أراجع هذا البحث أن أجد حربنا التى بدأناها ضد إسرائيل هى حرب مقدسة يباركها الله فى عليائه إذ هى استجابة لكل ما دعانا إليه، كما سنراه مفصلا فى هذه الرسالة . وفى كتابى «الأمة الإنسانية» دعوت إلى إلغاء الحروب، ولكن مسلك إسرائيل وتقاعس العالم عن ردعها أثبت لى مرة أخرى ما قلته فى هذه الرسالة من أن الحروب ضرورة إنسانية».

والحمد لله.

مجدى أحمد حسين

الفصل الأول

ماهية الحرب ـ ضرورتها ـ فائدتها ـ العمران والحرب



أكتب هذه الرسالة فى وقت يضجر الناس فيه جميعا من الحرب ، ويتمنون ألا يكون على الأرض حرب أبدا، ويعلن المتحاربان كل من ناحيته أن هذه الحرب ستكون الأخيرة وسيكون بعدها سلام وأمان لجميع الأمم والشعوب، لافرق فيها بين قويها وضعيفها، وبين غنيها وفقيرها، وأن سيكون لكل شعب حريته واستقلاله على قدم المساواة بالنسبة لبقية الأمم، وسيكون له كذلك نصيبه العادل من تجارة العالم وموارده الأولية.وعلم الله أن هذا الذى يقولونه ليس إلا حلما من الأحلام، بل هو فى حقيقته تغرير وخداع يموه به القادة والزعماء على شعوبهم ليهونوا عليهم احتمال مشاق الحرب الحاضرة، وليموهوا به على الأمم الضعيفة الواقعة تحت برائنهم ليأمنوا جانبها فى هذه الأزمة العصيبة، وليستجلبوا ودها ومعونتها التى هم فى أشد الحاجة إليها، وسوف تنتهى الحرب فى الغد القريب ويكون بعدها غالب ومغلوب وقاهر ومقهور وللأول ما شاء وأراد من ثروة ومجد وسلطان،وللثانى مالم يرد من الفقر والخزى والإذلال، غدا تضع الحرب أوزارها، فترتفع أمم وتنخفض أخرى ، وشعوب ترضى وشعوب تسخط ، ودول تغنم وتربح، ودول تغرم وتخسر، وعروش تقام وأخرى تثل فلا يعود قادرا على غسل الإهانات ورد الاعتبارات والأخذ بالثارات وتمزيق

المعاهدات الجائرة سوى الحرب.فلن تنتهى حرب من الوجود قبل أن تضع بـذرة الحرب القادمة وتهيئ الأسباب للـملحمة التـالية، فالحرب ككل شئ فـى الوجود يعمل على حفظ نـوعه واستمرار بقائـه، فلا يفارق الحياة قـبل أن ينجب خلـيفته، وتلك صـحائف التاريـخ مبسوطة منـشورة تسجل وقائـع الكون وانعكاس حـياته وكلهـا تدل على أن الـبشرية لـم تسلم مـن حرب طاحنـة فى أى جيل مـن الأجيال تصيـبها هنا أو هـناك، وأنه ما من حـرب تضع أوزارها إلا وقد وضعـت فى نفس الوقت بذرة حرب تـالية، فإذا أضرت الحـروب المتـعاقبـة بشـعب مـن الشعـوب جاءت الحـياة بشعـوب جديدة تفيـض حيوية متـقدة ، فتشـتعل النيـران الخامدة ويستعر لهب الحرب من جديد، وهكذا يبقى الصراع بين الأحياء متصلا، بهذا تقضى سنة الحياة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

كم قام دعاة فـى القديم والحديث يـعلنون أنهم رسـل رحمة، وينادون بالغـاء الحروب وإحلال المحبة مقام البغضـاء، والتسامح والصـفح محل الـقصاص والانتـقام، ففشـلت جهودهـم وتحول تلاميـذهم وأتباعـهم إلى أشد العـالمين خصـاما وصداما وبـغضا وانتقامـا،فمنذ بضعـة عشر قرنا والمسيـحيون الذين ينـادى دينهم بالسـلام لا يفتأون يـصبغون الـعالم بالـدم، فيشعـلون حربا بـعد حرب لا ضد أعدائهم فحسب بل ضد أنفسهم وبين صفوفهم.

فشل محاولات منع الحروب:

عندما تطورت الإنسانية تطورها العظيم فى ختام القرن الثامن عشر،ومستهل القرن التاسع عشر،وانتهت حروب نابليون ورسمت خريطة أوروبا بصفة نهائية، كما كانوا يتصورون فى مؤتمر فيينا، أمل المفكرون أن ساعة وضع حد للحروب بين البشر قد حلت،وأن القوة يجب أن تزول من قاموس التعامل بين الأمم، وأن الشعوب يجب أن تخضع كلها لقانون واحد ينظم علاقاتها ويحسم منازعاتها بطريق التحكيم والقضاء، وظلت هذه الدعوات تنمو وتتطور حتى أخذت صورا قوية كإنشاء محكمة العدل الدولية، ظن أن فجر السلام الدائم أوشك أن يطلع على البشر، فإذا بالحروب لاتكاد تنتهى بين دول أوروبا، سواء فى شرقها أو وسطها أو غربها، ثم جاءت الحرب العظمى فقوضت هذه الأحلام والأمانى نهائيا، إذ استعر لهبها بأعظم مما سبق فى تاريخ بنى الإنسان، وذابت فى آتونها المتقد كل القوانين والمعاهدات والقواعد الإنسانية التى خيل للبعض أنها قد استقرت إلى الأبد ، وذاب معها عشرة ملايين من البشر قتلى ومثلهم من الجرحى.وانتشر الخراب والدمار بفعل الأسلحة الحديثة الفتاكة بما لم تعهده البشرية من قبل.ولم تكد الحرب

العظمى السابقة توشك على نهايتها حتى هب دعاة الإنسانية والرحمة وبشروا من جديد بإنجيل السلام والمحبة بين الأمم، وابتدعوا نظام عصبة الأمم لتكون حكما بين الشعوب، ضمانا لتنفيذ المعاهدات ،ومانعة من وقوع الحرب بين الأمم، ولكن هذه العصبة التى طبل لها العالم وزمر ولدت فى الحقيقة ميتة، فلم تستطع أن تحقق طرفا من الأغراض التى أنشئت من أجلها، وامتشقت الأمم المشتركة فيها الحسام كلما عّن لها ذلك لتحقيق أغراضها، وبادرت عصبة الأمم بالتصديق على حكم السيف دائما نزولا عند شريعة الخليقة الأزلية، ألا وهى أن القوة وحدها هى التى تميت الحقوق وتحييها. وعلى الرغم من الضربات التى نزلت بالعصبة فقد ظلت تقاوم الفناء حتى اندلعت نيران الحرب الحاضرة فاضطرت العصبة لإغلاق أبوابها وتخزين مهماتها وأوراقها حتى يقضى السيف قضاءه، ويفرغ من مهمته.

الحرب سنة الكون:

فالحرب لايمكن أن تزول من الدنيا أو أن تخف حدتها أو تحصر ويلاتها ، ذلك أنه بكل ما فيها من مرارة وآلام، وبكل ما تنطوى عليه من قسوة وبطش واخلال بالأمن والسلام، سر من أسرار الحياة وجوهر من جواهرها!.. لأن الحياة هى الحركة ،

والحركـة هى الـتى تحـول المادة وتـغيرهـا بما تحـدثه مـن احتـكاك وصدام وصراع مستمر. إن كل ما فى الكون من عناصر مركبة أو بسيطة فـى كفاح مـستمـر بيـن أجزائه المخـتلفـة.فالماء والـهواء والحرارة وبقيـة العناصر كلـها فى حرب دائمة،ومـن هذه الحرب تنشأ جميع الظواهر الطبيعية والجغرافية التى تؤلف مسرح الحياة. فالـرياح والعـواصف والـسحب والـبروق والرعـود والصـواعق والسيول والأمطار والزلازل والبراكين هى مظهر هذا القتال، فما من ذرة من ذرات الكون إلا ويجرى فيها هذا الصراع!. وحسبك أن تنـظر إلى قـطرة من الماء مـن خلال المجهـر، أو قطرة مـن الدم لترى فيها جـيوشا جرارة فى كر وفر وإقبال وإدبار يلتـهم بعضها البـعض الآخر بعـد أن يصرعـه!.فإذا شئـت أن ترى ذلك مكـبرا بالعـين المجردة فمـا عليك إلا أن تلـقى بنظرة عـلى الغابـة حيث تغص بـالحيوانات الـكاسرة والطـيور الجارحة الـتى لاتنفـك فى حرب مـتواصلـة أبدية خـالدة لاتفتـر لحظة أو تـهدأ، ابتـداء من الدودة الصـغيرة إلى الفـيل الضخـم.ولو نظرت إلى قـاع المحيط لوجـدت مثل ذلـك جيوشـا لايدركهـا الحصر تـتباغـى وتتقـاتل وتتصارع حول الحياة والموت وتلك هى سنة الخلق.

وما كـان الإنسان لـيشذ عـن هذه القـاعدة، وهو أرقـى صور

الحياة وأكملها، غير أن العقل والأديان قد نظمت قواه وحدت من غرائزه التى تدفعه للقتال دائما وأبدا، ولكنها لم تقض على هذه الغريزة، وإلا لقضت على الحياة فى أساسها فبقيت غريزة القتال كامنة فى النفوس ، لاتلبث أن تحتدم متى وجدت دواعيها وتهيأت أسبابها، وما أكثر الأسباب والدوافع التى تقضى إلى المنافسة بين بنى البشر فالاحتكاك فالصراع، إن اختلاف الألوان واختلاف البيئات واختلاف العقائد والأديان، وهذا التطلع المستمر فى طبيعة الإنسان إلى التفوق والامتياز والاستكثار من أسباب الرفاهية والغنى، هو الينبوع المستمر الذى يقذف بالشرر، والحمم التى لاتلبث أن تمتد إلى مايجاورها من مواد قابلة للالتهاب، فتكون الحرب والقتال.ولهذا القتال غاية واحدة هى انتخاب الأصلح والإبقاء عليه، لا بالنسبة للأحياء والمخلوقات فحسب،بل بالنسبة للمبادئ والأفكار والمعنويات، وذلك كله مصداقا لقول العزيز الحكيم:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاس فيمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾وهذا فى عالم المادة ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ وذلك فى عالم الروح والمعنويات.

بضدها تتميز الاشياء:

على أن الحرب فـى نهاية الأمر هى التـى تخلق لنا ما نـشعر به من سعادة ومـتعة فى فترة السلـم، فالحرب سبيل السـلم ، فإن لم تكن الحرب فلا وجود للسلم. ذلك أن كل شئ يخلق ضده، فإذا انعدم أحد الطرفين انعدم الطرف الآخـر. فالسالب يخلق موجبا، والموجـب يخلـق سالبـا وإذا انعدم الـسالب لـم يوجد المـوجب. وكذلـك كل ما فى الحـياة من مـظاهر وأعـراض ، فالسكـون هو أصل الحـركة، والحركة هـى خالقة الـسكون،فهـما دائرة مفـرغة لايعرف الإنسان أين طرفاها فالجوع والمرض والإصابات والموت والحروب هى موجـدة السعادة التى نشعـر بها عند استمتـاعنا بما يقابلها. فنحن نشعر بالـفرح والإبتهاج لخلو جسدنا من الأمراض والعلـل فهل كان يمكـن أن يكون لهذا الاحسـاس وجود إذا لم نذق مرارة المـرض فى يوم من الأيام، أو عـلى الأقل شاهـدنا من يعـانى آلامه أمام أعـيننـا، والإنسان يشـعر بمتـعة لاحد لهـا وهو يتناول طعاما هنيئا مريئا وشرابا سائغا عذبا فراتا، فهل كان يمكن أن يكون لهذا الاسـتمتاع وجود مالم نعـان ألم الجوع المحض فى لحظة من اللحظات أو قسوة الظمأ والجفاف . أى أن الألم السابق هو سر اللذة اللاحقة دائما أبدا ومبـعثها وهذا هو سر الحياة كلها وقوامهـا، ومن غابت عنـه هذه الحقيقة فـلا يعود قادرا علـى فهم

شئ من الحياة وتصرفاتها، فالأمور لاتظهر آثارها فى الوجود إلا بالنسبة لأضدادها فضوء النهار لايبرزه إلا قتام الليل وحلوكته وقيظ الصيف لايظهره سوى برد الشتاء، ونحن نحب أن يعقب الليل النهار وأن يخلف النهار الليل، ولو كانت نهارا كلها لأصبحت لاتطاق، ولو كانت ليلا سرمدا لما ازدهرت فيها الحياة ولانعدم منها الجمال ، ولو كان الزمن فصلا واحدا لما تنوعت الأحياء والمحصولات ولكانت الدنيا منظرا واحدا يقتل الإنسان مللا وسأما، ويحرم الإنسان من ملذات الحياة ومباهجها التى يخلقها اختلاف الليل والنهار وتغير الفصول، فما ألذ الدفء بعد البرد، والظل بعد القيظ، والراحة بعد التعب، والرى بعد الظمأ، فإن لم يكن تعب فلا راحة، وإن لم يكن برد فلا دفء، وإن لم يكن قبح فلا حسن، وإن لم يكن أبيض فلا أسود، وإن لم يكن شر فلا خير، وكذلك الحال فى موضوع الحرب والسلم، فإن لم تزعجنا الحرب فليس يفرحنا السلم ، وإذا لم يكن للحرب وجود فكيف يكون للسلم وجود، وإذا كان الموت هو الذى يفزعنا من الحرب وجب أن ننظر إليه وإلى جميع أسبابه بنفس المقياس السابق فلولا الموت ما كانت الحياة العزيزة الغالية التى نحبها ونحرص عليها ونكافح فى سبيل استبقائها، فكل ما يملأ حياتنا من نشاط وإنتاج وإبداع، إنما يرجع إلى غريزة واحدة ، هى غريزة

حب البقاء ومقاومة الفناء والمهالك، ولولا هذه الغريزة لمانشط الإنسان ولاجد وابتكر ولما تحرك أو درج، فنحن نأكل ونشرب ونروح ونجئ ونلبس ونبنى ونعمل ونتزوج لأننا نريد أن نعيش وأن نحفظ نوعنا وجنسنا، ولو أمن الإنسان على نفسه وضمن البقاء والخلد لما تحرك حركة واحدة ولجمد جمودا مطلقا كبقية الجمادات.

الحرب خالقة الحضارة:

ولما كانت الحرب صورة من أبشع الصور التى تسبب الموت وتحدثه حتى لتكاد كلمة الحرب تكون مترادفة لكلمة الموت، كان الاستعداد لها والعمل على درء مخاطرها والحرص على إحراز النصر فى نهايتها، هو الحافز للإنسان على كل ما نراه حولنا من ألوان النشاط والإنتاج والإبداع! وكثير من ضروب الملذات والمسرات. فحرب الإنسان ضد الإفراط فى شهواته والإستسلام لغرائزه هى أساس الفضائل وينبوعها وحرب الإنسان ضد الطبيعة هى الدافع إلى أول مظاهر العمران من اتخاذ الملبس والمسكن وكشف النار. وحرب الإنسان ضد الحيوان المفترس وضد الإنسان المعتدى هى التى أدت إلى ابتكار أول سلاح من أسلحة الدفاع اهتدى إليه الإنسان من الحجر أو من فروع الشجر،الذى تطور فيما بعد فصار سكينا ورمحا من الفولاذ.

وقد كانت هذه الأسلحة هى أدوات الإنسان الأول للتطور والارتقاء،وكانت الرغبة فى إتقاء غارات الأعداء من حيوان وإنسان هى السبب الأول فى خلق الجماعة، هذه الجماعة التى ما فتئت تتطور إلى أن صارت دولا نظامية واجبها الأول هو تأمين أعضائها من طغيان الشعوب الأخرى عليها، فالحرب دفاعية كانت أو هجومية، هى خالقة العمران والحضارة وقد ظلت كذلك فى جميع عصور التاريخ المتوالية حتى الحديث منها، فها نحن نرى الحضارة فى أى أمة من الأمم نتيجة تفوقها العسكرى وسيادة الروح الحربية فيها، فما من حضارة قامت إلا بعد سلسلة من المعارك الناجحة.

فمصر القديمة شقت طريقها فى التاريخ من خلال قوتها العسكرية أولا وقبل كل شئ ، عاشت خمسة آلاف سنة وهى بين ارتفاع وانخفاض، ومد وجزر، فتارة فى ذروة المجد والعز تضئ بأنوارها العالمين وتنشر الحضارة والمدنية من علوم وفنون وحكمة ودين، فيجلس العالم منها مجلس التلميذ والمقلد والتابع، وتارة أخرى تهوى إلى حضيض الجهل والفوضى والمذلة والمسغبة وتخيم عليها سحب الظلام ويدب إليها الفساد والانحلال، وكلتا الحالتين كانتا نتيجة لقوة مصر الحربية وسيطرة الروح العسكرية على نفوس أبنائها أو لعكس ذلك، فاعتزت

مصر حيث انتصرت جيوشها، وذلت بانخذالها، وكذلك كان الشأن فى مدنية الاغريق الرائعة التى نمت وترعرعت من خلال الحروب الطاحنة بين دويلات الاغريق المختلفة، وبين الاغريق والفرس ،وحسب الإنسان أن يطالع الالياذة والأوديسا ليرى عظم الروح الحربية وسيطرتها على نفوس الاغريقيين، ومن خلال هذه الروح انبثق كل ما للاغريق من مجد تليد وحضارة رفيعة وجاء على أعقابهم الرومان الذين سيطروا على العالم بقوة جيوشهم فكان لهم بعد ذلك مدنية عمرانية تمثلت فيها كل المدنيات القديمة ، أما العرب ومدنيتهم الإسلامية التى فاقت مدنيات الأوائل والأواخر فهى بدورها ازدهرت فى ظل قوة المسلمين العسكرية التى انتصرت دائما فى كل موقعة خاضتها ، فحيثما سال الدم العربى نمت الحضارة الإسلامية. فلما انكسرت شوكة العرب العسكرية بخمود روح القتال فى نفوسهم وإخلادهم إلى السلام والاستمتاع بالملذات والشهوات، انطوت صفحة هذه الحضارة المشرقة وخبت أنوارها، وطوى بساطها ونكست أعلامها، فانتقل لواء النصر والمجد والحضارة إلى صفوف الأوروبيين الذين احتكروا القوة العسكرية وغلبت عليهم الروح الحربية وحققوا تفوقهم من خلال أنهار من الدماء الجارية، فالظاهرة التى يسجلها التاريخ وعلم الاجتماع هى: أن

كل أمة مبتدئة تسيطر عليها الروح الحربية فتخوض معارك ناجحة لا تلبث بعدها أن تستمتع بثمرات نصرها،من دور البداوة إلى دور الحضارة ، وتتحول إلى ينبوع من ينابيع الإنتاج فى العلوم والفنون، وتفسير ذلك واضح وجلى ففى الحروب تصطدم الشعوب وتختلط وتحتك فيتأثر كل منها بما عند الآخر ويقتبس ما يراه لازما له فضلا عن أن ضرورة الحرب تدفعه إلى إصلاح أحواله وتوحيد صفوفه وفض منازعاته وسد ثغراته، ثم حشد كل قواه لمجابهة خصمه،مبتكرا أحسن خطط الدفاع والهجوم مخترعا شتى صنوف الأسلحة، ومن خلال ذلك كله تنشط الملكات الإنسانية والمواهب الكامنة من جسدية وفكرية ومعنوية وذلك من شأنه إذا وضعت الحرب أوزارها أن يدفع بالنشوء والارتقاء الإنسانى بضع خطوات إلى الأمام، فتزدهر العلوم والفنون والصناعات ، وتتطور الآراء والأفكار نحو الأحسن والأكمل ، كما شاهدنا ذلك محسوسا ملموسا بعد الحرب العظمى الماضية، فقد كان الاستعداد لهذه الحرب وما وقع فى أثنائها من تطور بعيد المدى فى سائر ميادين النشاط العلمى والصناعى والفنى، وثبة كبيرة للارتقاء بالمجتمع الإنسانى نحو حياة أكمل بالنسبة لفريق كبير من البشر وما لم تتمكن الحرب الماضية من تحقيقه فإن الحرب الجارية ستتكفل باتمامه.

أثر الحرب العظمى فى حضارتنا :

لقد كان للحـرب العظمى الأولى والثانية أكـبر الأثر فى تطور الطائرة والراديو إلى ما وصلا إليه مما قلب حياة البشر رأسا على عقب وقد تحـول العالم بواسطتهـما إلى بيت كبير يـتحدث أحد أفراده فى ناحية منه فيستمع إلـيه الآخرون وينتقل الفرد من مطلع الشمـس لمغربهـا فى أيام معـدودات، وهكذا فنـيت الابعاد الـتى كانت تفصل بين الأمم، وزالت الحواجـز والاسوار الطبيعية التى كانـت تجعل كل شـعب يجـهل ما عـند الآخر، بل يـجهل أبـناء المدينـة الواحدة ما يجـرى فى مدينة مجـاورة، لقد قربت الـطائرة والراديـو والتليـفزيون الـيوم الذى يتـعارف علـيه البشـر وتزداد الألفة والمحبة فيما بينهم وينتشرالتعاون بين صفوفهم. هى الحرب وحدهـا والمجهـود الجبار الـذى بذل فـى الحرب العـظمـى الذى أوصـل هذه الاخـتراعـات إلـى ماوصـلـت إليـه، وهى الحـرب والحرب وحدها التى تتوسع فى استخدام هذه الأسلحة استخداما هائلا سيربح من ورائها العالم بمجرد أن تضع الحرب أوزارها.

ما ذكـرت الطائـرة والراديـو إلا على سـبيل المـثال، وإلا فـقد كانت أثر الحـرب العظمى لايقـل خطورة فى سائر فـروع العلوم والصناعات ، فقد أحـدثت انقلابات فى عالم الكيميـاء الصناعية فأصـبح الحريـر يسـتخرج مـن الخشب! والـبتـرول من الفـحم،

والمطـاط من الـبترول،والـسماد مـن الهـواء، وأصبحـت جمـيع الفـضلات التى يـمكن أن تـتخلف مـن استهـلاك الإنسان قابـلة للانتفاع بها من جديد على شتى الصور و الأشكال!.

وغير ذلك كثيرا لايتسع المجال لتفـصيله ولست محيطا به كل الإحاطة . أمـا الانقلاب فى عـلم الطب والجـراحة بصفـة خاصة فحدث عنه ولا حـرج، فبعد أن كانت الجراحة مغـامرة ومخاطرة لايقـدم عليهـا الإنسان إلا وقد يـئس من الحيـاة أصبحت عـلاجا أساسيا نـاجعا للكثيـر من الأمراض وتخفيف الآلام، واكـتشفت أدوية وعقـاقير مدهشـة وحسبنا أن نشـير إلى البنـسلين والسـلفا ناميد والأسبرين وغيرها.

كذلك حـدث مثل هذا الـتطور فى تفـوق الصناعـة والزراعة، وحسبنا أن نعلم أن كل كتـاب كتب فى أى فرع من فروع العلوم أو الفـنون قـبل الحرب المـاضية أصبح قـليل الجـدوى بعـد هذه الحـرب، اللـهم إلا عـلى سـبيـل التـاريخ والـتذكـار، لكـثرة مـا استحدث من نـظريات وأدخل من تحسينات وصـحح من أخطاء وأضيف من زيادات.

كانت الصـناعة الآلية الحديثة تـعتبر قبل الحرب العـظمى سرا من أسـرار كل أمـة تحتكـره لها، وأمـا بعـد الحرب فقـد تفـشت

الصناعات بين الأمم الكبيرة والصغيرة ، ولم يعد السر فيها خافيا على أحد، كما أدى تطور الصناعة إلى شيوع كثير من الادوات والمهمات التي كانت تعتبر قبل الحرب مظهرا من مظاهر الترف الذى يختص به الأغنياء والقادرون ـ كاستعمال السيارة مثلا ـ فغدت بعد الحرب فى متناول الجميع لرخص ثمنها، وبذلك تحولت إلى ضرورة من الضرورات.

القنبلة الذرية:

ولم تكن القنبلة الذرية قد كشفت بعد عند كتابة السطور المتقدمة، ولم تكن القنبلة الصاروخية قد أطلقت بعد أما الآن فقد أصبح فى وسعنا أن نتحدث عن هذين الكشفين الخطرين وعما سيكون لهما من تأثير خطير فى حياة البشر يوشك أن يكون انقلابا لامثيل له من قبل فى تاريخ البشر، فالصاروخ يوشك أن يكون أداة السفر فى المستقبل والانتقال من قارة إلى قارة!. ومعنى ذلك أن يكون انتقال الإنسان من مشرق الدنيا لمغربها كلمح البصر أو أسرع ، ولست أحسب أن الوقت سيطول كثيرا قبلما يستطيع الإنسان بواسطة هذا المركب الجديد أن يصل إلى القمر،ومن ثم إلى بقية الكواكب الأخرى.

أما القنبلة الذرية التى تعتمد على تحطيم الذرة فتوشك أن

تضع فى يد الإنسان طاقة رهيبة تمكنه من تدمير العالم فى برهة وجيزة ، ومن السيطرة على عناصر الكون الأساسية واستخدامها كما يشاء ويختار.

وإذا كان هذان الاختراعان الرهيبان قد اضرا بالإنسانية فى أيام الحرب، فقد انتهت الحرب وبقى أمام الإنسانية أن تنتفع بهذه النواة الجديدة فى عالم السلم والتطور فى الحضارة والارتقاء البشرى، ولولا الحرب ما تم الوصول إلى هذين الكشفين الخطرين بهذه السرعة .. وهكذا تضطرد القاعدة فى أن الحرب وحدها هى الحافز على الاختراعات والاكتشافات المؤدية إلى تطور البشر.

إعادة التوازن العالمى:

على أن للحرب إذا اتسع نطاقها وشملت أكثر من دولة كما هو الشأن فى الحروب العالمية الحديثة فائدة لا تقل خطرا عما ذكرته لك حتى الآن،وهو أنها السبيل لإعادة التوازن المفقود بين الجماعات المتحاربة وغير المتحاربة، بل بين أفراد الجماعة الواحدة من هذين الفريقين، فاستمرار السلم من شأنه تركيز القوى المختلفة من علم وثروة وسيادة وحضارة فى دول معينة وفى طوائف مخصوصة فى داخل الدول المعينة، فإذا ما قامت الحرب

حدث خلط ومـزج وفوران ودوران وصعود وهبوط فـيحدث فى نهايـة هذه التقلبـات توزيع جديد لـلثروة ولمراكز القـوة ومحاور الحضارة ، فيتحـول إلى اليسار أقوام كانوا فى اليـمين ويصل إلى ذروة الغنى أناس كانوا فى قوائم الفقر، وترتفع إلى مرتبة النجوم أمم كانت فى حضـيض الإهمال وتفاهة القدر، ولـيس يقف هذا الاثر عند صفوف المـتحاربين بل يتعداهم إلى غـيرهم ممن قدر له أن يقف علـى الحياد، أو ممن كان مربوطـا بمركبة أحد المتـحاربين على سـبيل التبـعية والقهـر، كما هو الـشأن فى الأمم المستـعمرة والمستـعبدة والضـعيفة المغـلوبة على أمـرها، ففى الحـروب التى تستغـرق جهود الأقوياء فرصـة ذهبية للضـعفاء ليشتـد ساعدهم ولتدعيم مركـزهم الاجتماعى والسياسى والاقـتصادى، لانشغال الاقويـاء عنـهم مـن ناحـية، ولحـاجة الاقـوياء الـشديـدة لمعـونة الضعفاء من ناحية أخرى، فيعملون على إرضائهم.

الهند:

أضرب لذلك مثلا أمة الهند التـى تؤلف جزءا كبيرا من البشر المغلـوب على أمره بـعد أن كان محـورا من محاور الحـضارة فى العالم. تعـيش هذه الأمة التى يبلـغ عدد سكانها أربعمـائة مليون نسـمة تقـريبا تابـعة للأمـة الانجليـزية منذ عـدة أجيال ولا عـمل

للانجليز إلا التفريق بين صفوفها ، والحيلولة بين الهنود وبين أى ارتقاء أو تطور، ليظل للانجليز سلطانهم وسيادتهم، فلما كانت الحرب العظمى الماضية قطعت الهند شوطا فى سبيل التطور نحو الاستقلال السياسى والاقتصادى ، فاستيقظ الشعب من سباته ونظم صفوفه تحت زعامة غاندى، ثم راح يكافح من أجل حريته وحقه فى الحياة الكريمة والاستقلال والسيادة، وبدأت الهند إنتاجا صناعيا من الطراز الأول وكان اشتعال الحرب من جديد فرصة أخرى للهند لتضاعف نشاطها فى سبيل استكمال حريتها، فوثبت وثبة رائعة نحو غايتها وتحقيق آمالها، وعلى الأخص فى الناحية الاقتصادية ، إذ أصبحت مركزا من مراكز الإنتاج الصناعى العالمى تنتج الفولاذ والآلات والسيارات والأسلحة ، وبعد أن كانت الهند هى سوق انجلترا الأول لتوزيع منتجاته أصبحت تعتمد على نفسها وتمد انجلترا ببعض حاجاتها فاضطرت انجلترا عند ذلك أن تقابل الهنود فى منتصف الطريق، وأن تسترضى عواطفهم وتلبى بعض مطالبهم، فتزيد يوما بعد فى نصيبهم فى حكم أنفسهم، وأن تشركهم اشراكا فعليا فى الإشراف على سير العمليات الحربية! بعد أن أصبح لهم ما يزيد على «المليون من الجيوش المدربة» التى تحرز الانتصارات فى سائر الميادين، وأعلنت انجلترا فى النهاية أنها ستمنح الهنود استقلالهم

الداخلى الكامل كما هو الحال فى استراليا وكندا وجنوب افريقيا،وهى دول مستقلة كل الاستقلال وليس يربطها بانجلترا إلا التاج البريطانى . بل أعلنت أن الهند فى حل من أن ترتبط مع إنجلترا بأى رباط، فالهند تتطور وترقى فى معارج التقدم الإنسانى على رغم إرادة الانجليز، والفصل فى ذلك راجع لنشوب الحرب مرة بعد أخرى، وخطر الحرب الدائم الذى سيظل يهدد انجلترا حتى بعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها.

مصر والبلاد العربية:

وما يقال عن الهند يقال عن بقية الشعوب المغلوبة على أمرها وعلى رأسها الأمم الإسلامية ، وقد شاهدنا هذا الأثر النافع واضحا فى مصر عقب انتهاء الحرب الماضية حيث قام المصريون بثورة عجيبة هى الأولى من نوعها فى تاريخ مصر الحديثة، حيث اندفع الشيوخ والنساء والأطفال ينادون بحرية الوطن، لم يرهبهم سيف الأحكام العرفية المسلط على الرؤوس ولامالاقاه البعض من اعتقال وسجن وضرب بالرصاص وشنق وجلد، ولم يكن لذلك كله من أثر إلا زيادة النار اضطراما، والمصريين عزما وتصميما، ولا جدال فى أن ذلك كله كان أثرا مما تلقاه المصريون طوال سنوات الحرب عن المتحاربين من دورس فى الاستبسال

والتضحية فى سبيل مجد الأوطان ورفعتها، وقد سرت هذه الروح التى غمرت المصريين إلى جميع الأمم العربية والإسلامية، فقامت كلها تكافح عن كيانها وحريتها وحقها فى الاستقلال والمجد فبذلت أرواحها واراقت دماءها فى هذا السبيل فعادت الروح بذلك إلى هذه الأمم وأبرزت حقها للعالمين وقطعت شوطا لا بأس به فى سبيل تحقيق غايتها، وإذا كانت الحرب الماضية لم تحقق كل ما أمله المصريون والعرب فإنى أؤمن إيمانا جازما أن الحرب الحالية ستكمل ما بدأته الحرب السابقة، وستشهد الدنيا بعد هذه الحرب وحدة عربية فتية ناهضة تتزعمها مصر القوية التى تطورت تطورا بعيد المدى، فبعد أن كانت قبل الحرب الماضية لا تعدو أن تكون مزرعة تزرع القطن لحساب لانكشير فى إنجلترا، أصبحت مركزا من مراكز الإنتاج الكبرى فى الشرق الأوسط ، وتطورت فيها الصناعة تطورا كبيرا يوشك أن يصبح انقلابا خطيرا بمجرد تحقيق مشروعين أو ثلاثة، ومن خلال جهودها المتواصلة بدأت شخصيتها الدولية فى ظهورها كزعيمة للعالم العربى، هذه الزعامة التى لن تلبث أن تصبح حقيقة فعالة فى الغد القريب.

وهكذا تعيد الحروب التوازن بين الأمم وتتيح الفرصة

لشعوب هضمت حقوقها أن تتنفس وأن تصلح من أحوالها وأن تشق طريقها نحو الحرية والاستقلال والمجد. (*)

الحروب كوسيلة للإصلاح الروحى:

على أن ما قدمته حتى الآن لا يعدو الجانب المادى من فوائد الحروب، وهو الجانب الأقل أهمية، وإنما تحقق الحرب فائدتها الكبرى فى الإصلاح الروحى الذى تحدثه فى نفوس البشر، حيث تطهر نفوسهم من الدنايا والأرجاس وتسمو بأرواحهم إلى قمة الفضيلة والمثل الأعلى وتعيد تنظيم الجماعة على أسس أكثر صلاحية من الأسس السابقة على الحرب.

وتشبه الحروب من هذه الناحية، العملية الجراحية فهى على ما فيها من جرح وإيلام وقطع أوصال وإراقة دم، فإن هدفها الأول هو إبراء العليل وتطهير جسده من الأجزاء الفاسدة وإلباسه ثوب العافية من جديد وتحسين حاله عما كان من قبل، فكذلك الشأن فى الحروب فعلى الرغم من أنها تخرب وتدمر وتسيل الدماء

(*) كتبت هذه السطور قبل إنشاء الجامعة العربية ومعنى ذلك أن الأيام والحوادث قد أيدت هذا الإيمان وهذه العقيدة فقد شاهدنا بمجرد إنتهاء هذه الحرب جلاء الجيوش الأجنبية عن سوريا ولبنان وتكوين الجامعة العربية.

ولن تستطيع أن تغفل نهضة أندونيسيا ا الجبارة وإعلانها تأليف جمهوريتها المستقلة ، وليس ذلك إلا أثرا من آثار هذه الحروب.

وتزهق أرواح فريق من البشر، فهى تعود على البقية الباقية بالشفاء والعافية وترد للمجتمع العليل صحته وقوته.

ليس هناك ما يضر الجماعات والأمم أكثر من سلم طويل الأمد ينكب فيه كل فرد على تحقيق شهواته وأغراضه الخاصة، وتتملكه الأنانية والأثرة، ولايعرف من الحياة إلا أنها أداة للترف والملذات والاثراء والخمول والكسل، فيعزف عن كل فضيلة وخلق كريم وإيمان عميق، فتتفكك روابط الجماعة وتنحل وشائج الأسرة والقرابة ولا يعود هناك مجال للتضامن أو التعاون الاجتماعى، ويكثر التحاسد والتباغض والتقاطع والتدابر والتنابذ، وتتحارب الطبقات بعد أن تتضخم الفوارق فيما بينها ويضعف الوازع الدينى ويتضاءل سلطان القانون والعادات والتقاليد المرعية.

وفى هذا الجو ينزوى الرجال الأقوياء والأكفاء وينضب معين النبوغ والعبقرية ويتصدر الجماعة السفسطائيون والأدعياء والثرثارون، ويسود التهريج والتهويش والخداع والتغرير، فيقل الإنتاج ويتضاءل وينكمش ويكون الطابع البارز الذى يطبع المجتمع أفرادا وجماعات هو الاستهتار بكل شئ.

فالحرب وحدها هى التى تعيد الأمور إلى نصابها وتصحح الأوضاع المقلوبة وتصلح من شأن الفساد إن لم يكن فى إبان

اشتعال الحرب فبعد انتهائها، عندما يكون مصير هذا المجتمع المنحل هو الهزيمة والفشل فيدأب الشعب المنهزم بعد الحرب على إصلاح مساوئه والنهوض من كبوته كما هو الحال بالنسبة لفرنسا فى هذه الحرب.

فى أثناء الحروب يتوارى العجز والخمول والكسل ويبطل سلطان الثرثرة والإدعاء والغرور، ويتجلى عمل الشجعان والأكفاء والقادرين، فى ظل الحرب تنمو العبقرية ويعتز النبوغ وتزدهر الفضيلة والأخلاق الرفيعة، فلا يكون مجال للأنانية والاستهتار وإنما للتضحية والايثار، ولاسبيل لليأس والقنوط والشك والاستهتار، وإنما للصبر والعزم والمثابرة ، والجد والإيمان، وأخيرا ليس سوى الحرب من يعيد للمجتمع وحدته وتضامنه فهى التى تجعل من المجتمع جسدا واحدا وأسرة واحدة فتسكن ريح الفروق الاجتماعية، ويصبح الناس طبقة واحدة بعد أن جمعهم الخطر المشترك والهدف المشترك.

فى ظل الحرب يعود للدين قدسيته وللقوانين والتقاليد حرمتها وللأمن استتبابه وللإنتاج نشاطه ووفرته.

وها هى الحرب الحالية تجرى تحت أسماعنا وأبصارنا منذ ثلاث سنوات ونصف تعرضت فيها الأمم المتحاربة لأقسى

النكبات و المحن التى ظن من قبل أنها قد تؤدى إلى تداعى الشعوب وفنائها، بل وانتهاء الحضارة الإنسانية جملة، وقد شاهدنا بالفعل مئات من الألوف تقتل وألوفا من المدن والقرى تحرق أو تدمر وعددا لايحصى من البواخر تغرق فى جوف المحيط بشحناتها من الآدميين والمواد الثمينة.

ورأينا شعوبا تعيش ليلا ونهارا تحت طوفان من القنابل تقذفها الطائرات، فتقتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى،وتخبط خبطا عشوائيا لاتبالى من تصيب،ومع ذلك فلم يكن لذلك كله أى أثر فى إضعاف النفوس أو وهن العزائم، وملء القلوب بالجبن والفرغ ، بل على الضد من ذلك كله لم تزد الكوارث والمحن المتحاربين إلا عزما وتصميما على السير فى الحرب حتى النهاية ، وإدراك النصر والفوز المبين، وتنافست الأمم المتحاربة فى إظهار ضروب من البسالة والتضحية والفدائية، فمن أقوام يقذفون بأنفسهم من طبقات الجو العالية ليهبطوا بالمظلات بين براثن العدو خلف خطوطه، إلى آخرين يخرقون البحار على ظهرها أو فى جوفها فى داخل الغواصات حيث يهددهم الموت فى كل لحظة، وآخرون يقذفون بأنفسهم على الأهداف العسكرية داخل طوربيد أو قنبلة أو يهبطون بطائراتهم المحملة بالذخائر على هذا الهدف فينسفونه نسفا بعد أن يكونوا هم أول المنسوفين

المتناثرين فى الهواء، وتفنن الجنود فى طلب الميتات الشريفة وتنافسوا فى الإقدام عليها حتى أصبحت الفدائية والتضحية هى طابع العصر، وفنى الفرد فى المجموع وأصبح الاحتفاظ بالشرف والكرامة والحرية هو المثل الأعلى للجماعة،وهو ما يجود الفرد فى سبيله بماله ودمه، ويتحمل من أجله ما لم يخطر على عقل البشر إمكان تحمله ومعاناته،وهذا هو أعظم ما تنطوى عليه الحرب من فائدة للبشر(*).

(*) لقد أوشك السلم أن يفكك وحدة الامبراطورية الانجليزية بعد أن أضر بسمعة الانجليز وقيل عنهم أنهم يسرعون إلى الفناء وأن الهرم قد حل بهم، فإذا بهذه الحرب ترتفع بهم من جديد إلى ذروة المجد وإلى صدارة العالم، وإذا بالامبراطورية البريطانية تبدو أكثر اتحادا وتضامنا عما كان يظن أكثر الناس!.

وهكذا بعثت انجلترا من جديد فى ظل الكوارث والمحن، وقل مثل ذلك عن روسيا السوفيتية التى كانت علما على الفوضى والاباحية والوحشية، وعبثا حاولت روسيا أن تبدد هذه التهم والاشاعات، وأن تظهر نجاح النظام الشيوعى بها حتى لقد أنفقت فى هذا السبيل مئات الملايين من الجنيهات فلم يُجدها ذلك كله فتيلا وظلت أبواب العالم مغلقة فى وجهها يحف بسمعتها الاحتقار والازدراء، فلم تكد تقف وقفتها المشهورة ضد الألمان وتثبت هذا الثبات العجيب الذى بهر العالم بما احتواه من آيات رائعات ودروس باهرات فى البطولة والفدائية والتضامن الاجتماعى ووحدة الشعب حتى انقلبت ألسنة عداتها لاهجة بالثناء عليها والمدح لها، وفى عام واحد كسبت روسيا من احترام العالم ما لم تحصل عليه فى تاريخها الطويل وتفتحت لها الأبواب المغلقة، وأرصدت لمعاونتها الثروات الطائلة، وغدا عندما يسدل الستار على هذه الحرب مهما كانت نتيجتها بالنسبة لروسيا، فإن هذا الكفاح سيجعل من روسيا أمة مجيدة تساهم فى حضارة العالم بأكبر نصيب بعد أن لم تكن فى ظل السلم تساوى شيئا مذكورا.

وبعد:

وبعد ما الذى يفزع ضعاف النفوس من الحرب،وما الذى يحمل البعض على الدعوة لإبطال الحروب،وما الذى يجعل اسم الحرب كريها على أسماع الكثيرين؟. أليس هو الخوف من الموت والرغبة فى تجنيب النفس ويلات الحرب؟ولكن هل من سبيل لاتقاء الموت ، أليس هو قدر مقدور، وأجل معلوم، وقضاء محتوم على بنى البشر لابد واقع بهم مهما طال الأمد فهو سنة الحياة التى لامحيص عنها ولافكاك، كما يقول القرآن:

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ و﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧)﴾

وإذا كان الموت فريضة على كل حى، وإذا كان لابد للإنسان أن يلاقى مصرعه الذى لايستطيع أن يكون له أقل اختيار فى كيفيته، أو ليس من الخير ألف مرة إذا قدر للإنسان أن يموت أن يكون مصرعه فى سبيل الدفاع عن عقيدته ومثله الأعلى وخير المجموع البشرى؟. أليس من الخير للإنسان أن يموت فى ميدان الشرف فيحشر نفسه فى زمرة الخالدين وينأى بها عن جماعة الخاملين الذين يجيئون إلى الحياة ويخرجون منها دون أن يكون

لهم حظ فيها أكثر من حظ السائمات، طعام فشراب فنوم فممات، ليست الحياة طعاما وشرابا، وإلا لكانت مهزلة وأضحوكة، وإنما الحياة إيمان وعقيدة وتطور وكفاح للوصول إلى مثل أعلى ونهاية سعيدة ، والموت فى سبيل هذا المثل الأعلى هو الحياة الحقيقية، هو الاتصال بروح الكون وحقيقته ، هو الحياة الدائمة السرمدية ، وهو الخلود والبقاء الذى لايطاوله بقاء:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾.

وليس سوى الحرب المشروعة يتيح لعدد كبير من البشر سبيلهم إلى موتة مجيدة شريفة منتجة فعالة بدلا من ميتتهم وفنائهم فى الظلام مخلفين وراءهم أسوا المثلات لمن يجيئون بعدهم.

الحرب خير:

وآخر ما أقول إن الحرب باعتبارها ناموسا من نواميس الكون ليست شرا فى مجموعها، فإن ما تحدثه من خسائر فى ناحية تعوضه أرباحا فى ناحية أخرى، وما أسهل ما تعوض الخسائر فيعاد إنشاء المدن التى خربت بأحسن وأروع مما كانت، وتولد

ملايين من البشر بدلا من تلك التى فقدت،وما الحياة إلا هدم وبناء، وموت وحياة ، وإنما الربح الذى لايقوم بثمن والذى لايستطيع البشر تحصيله بحال من الأحوال فى ظل السلم هو ازدهار الروح البشرية فى خلال الحروب وفى أعقابها، هذا الازدهار الذى يرتقى بالحياة البشرية ماديا وأدبيا ويندفع بها نحو الأمام، نحو النشوء والارتقاء .. نحو المثل الأعلى.

القرآن والحرب والجهاد:

قد يظن البعض أننى قد ركبت متن الشطط، وأنا أقرر هذه الأحكام، أو أننى غاليت وتطرقت أو جنحت إلى الجانب الذى يحلو للبعض أن يصفه بالغلظة والخشونة وخلوه من الرحمة والإنسانية! ولرب قائل يقول هذه فلسفة نازية أو فاشيستية ولكنى فى الحقيقة لم أعد فى كل ما قررته نصوص القرآن وأحكامه، فكل القواعد السابقة قد ذكرها القرآن ووصف بها الحرب وفوائدها، وأنها سنة من سنن الحياة وارتفع القرآن بالحرب فى بعض الأحوال إلى ذروة الواجبات السامية والفرائض المقدسة، والأداة الوحيدة لإصلاح البشر وتطهيرهم بالرغم مما فى مظهرها من غضاضة وما تشعر به النفوس تلقاءها من كراهية.

يقول القرآن الكريم:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ

خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ .

فهذا نص صريح على ما يمكن أن تنطوى عليه الحروب من خير للبشر، وإن جهلوا ذلك وكرهوه فى بادئ الأمر، ذلك أن الإنسان لايرى أبعد من أنفه ولايميز الأشياء إلا بقدر ما تتصل بحبه، ولا يحب إلا ما عاد بالنفع على شخصه، أما الله سبحانه وتعالى الذى يعرف من الأمور ما فات وما هو حال وما هو آت، الله الذى خلق البشر ويعرف ما يفيدهم وما يضرهم ويرثى لهم ويحسن أحوالهم . فإنه يعلم دائما ما بطن وما ظهر، بينما الإنسان لايعرف إلا ما علم أو نظر.

وقد انتقل القرآن بعد ذلك من التعميم إلى التخصيص فنص فى آية أخرى صراحة على أن الحرب أداة لإصلاح البشر فقال وقوله الحق:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

وفى آية أخرى يبين القرآن لونا من ألوان الفساد وهو القضاء على حرية المعتقدات الدينية وسيادة الطغيان والإرهاب فيقول:
﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾.

وفى هذه الآيات نص على نتيجة الحروب، وإنها تنتهى بانتصار الصالح الذى ينصره الله ، الذى إن مكن له فى الأرض أحسن العبادة وواسى الفقراء وآخى بين الطبقات وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو قوام الحضارات الرفيعة والمدنيات السامية، ففى هذه العبارات الموجزة كل ما يعود على الإنسانية بالنفع والسعادة والارتقاء.

وما أكثر ما حض القرآن بعد ذلك على القتال ورغب فيه ودعا المؤمنين إلى خوض غماره ليتم لهم بذلك عند الله أعظم الفوز فى الآخرة والفلاح فى الحياة الدنيا، واقرأوا إن شئتم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾.

وقال القرآن فى فضل المحاربين :

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

والقرآن كله يفيض بأمثال هذه الآيات التى ذكرت لك بعضها وسيرد ذكر البعض الآخر فيما بعد وليست أحاديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه بأقل من هذه الآيات كثرة ووضوحا وجلاء، وإليك بعض هذه الأحاديث الكريمة:

«ضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان وتصديق برسلى فهو علىّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، إلى أن قال: والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله ثم اقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»(*) .

وروى الشيخان والترمذى «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ومالت نفس رجل إلى العزلة فسأل النبى ﷺ عنها فقال: لاتفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزو فى سبيل الله. من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة(**) وجبت له الجنة».

(*) رواه مسلم والبخارى.

(**) رواه الترمذى. أى قدر ما بين الحلبتين.

وسئل رسول الله عن خير الأعمال فقال «الجهاد سنام العمل»وقال عليه الصلاة والسلام: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق(*)» .

ليس وراء ذلك دعوة لجعل المسلمين جميعا محاربين مجاهدين.

(*) رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

الفصل الثانى

أغراض الحرب ـ شريعتها
الحرب المشروعة
وغير المشروعة

على أن ما تقدم لا يعنى مطلقا أن الحرب مطلوبة فى ذاتها كغاية من غايات البشر، وأن الأمم يتعين عليها أن تشعل نيران الحرب كلما أطفأها الله لسبب أو لغير سبب إلا الرغبة فى التقتيل والتدمير وإراقة الدماء، وإنما كل ما ذكرته حتى الآن ليس إلا تبريرا للحرب وترغيبا فيها عندما تصبح ضرورة لامناص منها، ففى هذه الحالة يتعين الإقدام عليها بإيمان ثابت وقلوب حديدية، فإذا لم توجد ضرورة للحرب فلا يكون من الخير إشعالها، بل يصبح الشر كل الشر فى الإقدام عليها، وتكون لونا من ألوان البغى والعدوان والافتيات على حق المجتمع الذى ينبغى أن يعيش فى سلام وأمن ووئام. وفى ذلك يقول الله لرسوله الكريم: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ فالسلم هو الغاية والأصل، والحرب هى العرض والوسيلة، فهى كالمرض بالنسبة للصحة، والفقر بالنسبة للغنى، ومهمة الإنسان أن يحول دون قيام الحروب جهد الطاقة، فإذا قام بها أهل البغى والعدوان فقد وجب على محبى السلم ألا يمكنوهم من نشر عدوانهم، فيهبوا لحربهم غير مدخرين فى هذه الحالة جهدا أو نشاطا أو تضحية، مؤمنين بأنهم يقومون بواجب مقدس ويحققون مشيئة الله فى الأرض، وهذا يجرنا إلى بحث الحالات التى تكون الحرب فيها مشروعة ومقدسة والحالات الأخرى التى تكون فيها بغيا آثما وظلما مبينا.

الحرب الدفاعية:

أول ضرب من ضروب الحرب الضرورية التى تصبح نتيجة ضرورتها مقدسة، هى الحرب الدفاعية سواء كان الدفاع عن النفس أو المال أو العرض أو العقيدة أو الحرية.والدفاع فضلا عن أنه حق فهو غريزة وفطرة جبلت عليها الأحياء كلها من إنسان وحيوان، إذ يسعى كل كائن فى المحافظة على نفسه من التلف والإبقاء على كيانه ومحاربة كل ما يهدده فى وجوده وحياته. لم يخلق الله سبحانه وتعالى حيوانا يدب على قدميه أو يطير بجناحيه إلا وجهزه بأسلحة الدفاع عن نفسه،وجهز الإنسان سيد الكائنات بأقوى الأسلحة طرا وهى العقل البشرى الذى أخضع الكائنات كلها لسلطان الإنسان بالرغم من شدة بطشها، وبهذا العقل أنتج الإنسان الأسلحة التى مكنته من هذه السيطرة وبها دافع عن نفسه إذ من واجبه أن يرد كل عدوان وتهديد مادى أو معنوى عنها، ومن أول واجبات الجماعة المتحضرة أن تمكن كل فرد من حرية الدفاع عن نفسه وأن تساعده على إحسان هذا الدفاع وتعاونه على رد العدوان وكسر شكيمة المعتدى، وبغير ذلك لايقوم عمران أو حضارة ،ويجب دفع العدوان بالقوة اللازمة لدفعه والحيلولة دون تكراره، ولاينبغى أن يتهاون المدافع

فى ذلك أو يتردد بحجة الشفقة أو الإنسانية أو الرحمة،فالشر بالشر والبادى أظلم «وجزاء سيئة مثلها»وليس أقبح ولا أشنع من تعكير السلم والاعتداء على الآمنين أو محاولة سلبهم حريتهم واستقلالهم أو ثروتهم أو فتنتهم فى عقيدتهم أو دينهم، وهذا هو ما شرعه الله للمسلمين عندما اشتد عليهم أذى المشركين مما اضطرهم للهجرة من ديارهم بأنفسهم وأموالهم بغير وجه حق وإلا لتعرضوا لصنوف من التعذيب والتقتيل كما حل بالبعض، وعبثا حاول المسلمون أن يحاسنوا المشركين أو يصانعوهم فى مقابل أن يحتفظ كل من الفريقين بحرية دينه وعقيدته، فقد أبى المشركون إلا أن يفتنوا المسلمين عن دينهم وأن يردوهم كفارا أو أن يقتلوهم ويشردوهم، فأصبحت المسألة بذلك مسألة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين، فإما أن يردوا العدوان بالقوة وإما حق عليهم الفناء وانطفأ نور الدعوة السامية التى جاء بها الإسلام للبشر، وهى الدعوة إلى التوحيد واختصاص الله بالعبودية دون سائر الكائنات، والترفع عن الدنايا و الموبقات وطهارة الروح والبدن من كل اثم وإسراف.

ولما كانت مشيئة الرب أن يحق الحق وأن ينصر دينه وأن يتم نعمته على البشر فقد أذن للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم مقرا

بذلك حق الدفاع الشرعى عن النفس والعقيدة بقوة السلاح والحرب، وفى ذلك نزلت هذه الآيات:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾.

فما أن نزلت هذه الآيات حتى امتشق المسلمون الحسام وخاضوا غمار الحرب ضد قريش وضد جميع من يحاولون التصدى للمسلمين لعرقلة جهادهم فى سبيل نشر الدين الجديد،وما أن بدأت الحرب حتى لجأ الرسول إلى كل الوسائل الحربية والاقتصادية والأدبية التى تؤدى إلى قهر العدو وكسر شوكته وتحطيم سطوته، فكان أول ما فكر فيه هو حصار قريش حصارا اقتصاديا على مثال ما تعمد إليه الدول المتحاربة فى العصر الحديث، حيث تقطع تجارة الصادر والوارد الخاصة بعدوها لتضعف موارده وتنهك قواه وتغنم من ثروته ما تزداد به قوة فبدأت سرايا رسول الله تهاجم قوافل قريش الرائحة إلى الشام والغادية منها، حاملة الميرة والثروة الوفيرة، فهبت قريش

للدفاع عن شريان حياتها ومصدر ثروتها، فكانت موقعة بدر، هذه الموقعة الخالدة التى اعتز فيها المسلمون ونكلوا بالمشركين شر تنكيل فضج المشركون بالشكوى منها ونادوا بالويل والثبور، وشنعوا على رسول الله والمسلمين وقالوا كيف يكون نبيا أرسله رب العالمين من يلجأ إلى القتال والحرب وإراقة الدماء؟ كأن النبى المرسل من الله ومن تبعوه ينبغى عليهم من دون البشر أن يكونوا عرضة للتحقير والإهانات والضرب والتعذيب والطرد والتشريد!. فلا يدفعون عن أنفسهم كما يدفع سائر مخلوقات الله ،ولذلك رد القرآن زعم المشركين مادحا المؤمنين لانتصارهم لأنفسهم وملقيا الوزر على عاتق المعتدين المجرمين بقوله:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) ﴾.

قاعدة المقابلة بالمثل:

وليس هناك ما يردع المعتدين ويضع حدا لطغيان المجرمين أكثر من القاعدة المحكمة قاعدة المقابلة بالمثل، ففيها الحياة وفيها النجاة، أما الذين يدعون إلى التسامح مع المجرمين والسفاكين

ومقابلة اعتدائهم بالإحسان فهؤلاء إنما يشجعون الإجرام ويسلطون الأشرار على الأخيار، ويهدمون نظام الجماعة والعمران، ولذلك فإن أرقى الشعوب الحديثة وجدت ملاذها وأمنها فى تطبيق هذه القاعدة سواء فى السلم أو فى الحرب، فكان تطبيقها السبب الواقى لكثير من الشرور! . خذ لذلك مثلا: الغازات السامة، هذا السلاح الفتاك الخبيث الذى يعمى الابصار ويصم الآذان ويزهق الأرواح ويحمل الأحياء على الجنون، لقد اخترعه الألمان واستعملوه فى الحرب الماضية، وكادوا يهزمون به الحلفاء هزيمة ساحقة لولا أن أجابهم الحلفاء بعد قليل باستخدام نفس السلاح، فعانى منه الألمان أضعاف ما عاناه أعداؤهم مما حملهم فى هذه الحرب على الكف عن استعمال الغازات فكف الحلفاء عن استعمالها بدورهم، وهكذا التزم كل من الطرفين جانبا من جوانب الإنسانية لا بدافع من الفضيلة والمروءة ولكن خوفا من المقابلة بالمثل.

وعندما اندلعت نيران هذه الحرب الجارية شهر الألمان على الدول الأقل قوة منهم فى سلاح الجو غارات كاسحة فتاكة كانت تصلى المدن نارا حامية طوال ساعات عديدة بالليل والنهار، فتقتل الأطفال والنساء والعجزة، وتهدم الدور والمعابد والجامعات، لم تردعهم عن عدوانهم رحمة ولا شفقة، حتى إذا تطورت ظروف الحرب واشتد ساعد الحلفاء راحوا يردون لألمانيا

دينها القديم ويكيلون لها الصاع صاعين، فبدأت ألمانيا تشكو وتتململ من هذا الأسلوب، وتمنت لو أمكن الاتفاق بين الجانبين على الكف عن هذه الغارات الوحشية، ولكن هيهات أن يرضى الحلفاء بعقد مثل هذا الاتفاق قبل أن يفرغوا من هزيمة ألمانيا التى كانت البادئة بهذا الطراز من القتال.

وقد قرر القرآن هذه القاعدة، قاعدة المقابلة بالمثل فى صراحة وقوة فى أكثر من آية وطبقها الرسول تطبيقا ناجحا على أوسع نطاق. من ذلك أنه كان للعرب أشهر معلومة يضعون فيها الأسلحة ويكفون عن مباشرة القتال، كما اتخذوا من الكعبة المكرمة حرما آمنا لا يدور فيه قتال طوال أيام العام، وقد كان احترام هاتين القاعدتين مقدسا لا يخل به إنسان، فنزل القرآن مقرا لهاتين القاعدتين على شريطة المقابلة بالمثل فقال عن الأشهر الحرم:

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقال عن مباشرة القتال فى البيت الحرام:

﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

شريعة الحرب:

وإذا اشتبكت الأمة فى حرب فيتعين عليها أن تعلم أن الحرب هى الحرب، ولا شريعة لها إلا بغض العدو والعمل على كسره وإفنائه، أو أن يكف عن عدوانه، فإذا لم يكف عن العدوان أو يتوقف عن القتال فيكون كل مجهود يبذل فى سبيل القضاء عليه مشروعا مبررا، ومن ذلك تضييق الخناق عليه وحصاره لا عن التجارة ومصادر رزقه كما أشرت إلى ذلك فى الفقرة السابقة، بل عن الطعام والشراب حتى يحمل بذلك على الاستسلام!.. ففى غزوة بدر حال الرسول بين المشركين وبين ورودهم الماء، ودار القتال حول حوض الماء الذى ابتناه المسلمون ليشربوا منه دون المشركين، وحاصر اليهود فى أكثر من موقعة حتى نزلوا على حكمه، وحاصر الطائف إلى أن اقتضته الظروف ففك الحصار عنهم، وفى غزوة بنى النضير عمد الرسول إلى تقطيع نخيل اليهود ليحملهم بذلك على الاستسلام فاستسلموا، وكان الفضل فى ذلك لهذا الاسلوب الذى الهمه الرسول ولم يكن للعرب به سابقة عهد، وفى هذا يقول القرآن:

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وعلى ذلك فإن ما تعمد إليه الدول الحديثة من محاولة تدمير

منشآت العدو العسكرية كالمصانع ومحطات توليد الكهرباء، وخزانات المياه والجسور ووسائل المواصلات ومحطات السكك الحديدية، واتلاف الآلات الزراعية وكل ما من شأنه تعطيل الإنتاج وشل يد العدو عن مواصلة القتال هوجزء لايتجزأ من شرعة القتال، وهو واجب ومشروع من ناحية المدافع عن نفسه.

تجنب المدنيين ويلات الحرب:

وكسر قوة العدو العسكرية هى التى يجب أن تكون هدف القتال الأول مهما اشتدت صرامته واحتدم أواره، ولا يجب أن تتجه الجهود إلى غير هذه الوجهة بحال من الأحوال، كأن ينكل بالأسرى أو يقتلوا أو يعذبوا أو أن تساء معاملتهم، ذلك أنهم وقد وقعوا فى الأسر لم يعد لهم سلطان ولا قوة ولا قدرة على الايذاء، فينبغى النظر إليهم فى هذه الحالة بغير النظرة التى ينظر بها إلى الجندى المحارب الذى لا يزال يحمل السلاح، فلا حقد عليهم ولا محاولة للانتقام منهم، وكذلك كل من لم يكن له صلة عن قرب أو بعد بقوة العدو العسكرية وتمكينه من الاعتداء كالنساء والأطفال والشيوخ والعجزة، بل جميع من تطلق عليهم لفظة المدنيين فى العصر الحديث فهؤلاء جميعا يتحتم عدم ايذائهم أو الانتقام منهم أو الإضرار بهم لأنهم لا خوف منهم ولا قدرة لهم على الاعتداء ،وقد روى أنس فى ذلك عن رسول

الله ﷺ أنه كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية قال لأميره: «انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة».

وعن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى النبى ﷺ فنهى عن قتال النساء والصبيان.

على أن هذا الإعفاء فى الزمن القديم كان مقيدا بشرط ألا يكون لهذه العناصر صلة بالقتال أو العون عليه، لا كما هو الحال فى العصور الحديثة حيث أصبحت النساء تقوم بدور فعال فى الحروب، ولا يقف عند قيادة السيارات ونقل المهمات وتولى المراسلات والعمل فى مصانع الذخيرة والأسلحة، بل يأخذ فى بعض الأحيان صورة القتال الكاملة حيث تمسك المرأة مدفعا سريع الطلقات تشترك به فى القتال، ففى هذه الأحوال كلها تسقط عنهن الحصانة ويتعين معاملتهن معاملة المحاربين على السواء فلا حرج فى قتلهن إذا صادفن المحارب وجها لوجه فى المعركة، فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه مر بامرأة قتيل فى يوم الخندق فقال من قتل هذه ؟ قال رجل أنا يا رسول الله ، قال ولم؟ قال: نازعتنى قائم سيفى فسكت. وفى موقعة حنين قتل دريد بن الصمة وهو شيخ فان لا قدرة له على القتال ولكنهم

كانوا قد خرجوا به معهم ليستعينوا برأيه ومشورته وخبرته بالحروب فلم ينكر النبى موته.

ففى كل حالة يتحول فيها النساء والشيوخ والصبيان إلى عناصر محاربة أو مساعدة على الحرب تسقط عنهم الحصانة، وكذلك فى جميع الأحوال التى يمتزجون فيها بالمتحاربين، ويصبح من المتعذر فصل بعضهم عن بعض، أو الوصول للمتحاربين دون المساس بالآخرين، ففى هذه الحالة يتعين عدم التفريق بين المتحاربين وغير المتحاربين ماداموا فى صعيد واحد، وتكون هذه هى إحدى ضرورات الحرب.

سئل النبى ﷺ عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال هم منهم (*)، وفى حصار الرسول للطائف عندما تحصنت ثقيف خلف أسوار حصونها وراحت تقذف المسلمين من ورائها بالسهام والنبال، استخدم الرسول فى حربهم والهجوم عليهم المنجنيق الذى كان يرمى بقذائفه داخل الأسوار فتقع بطبيعة الحال بين جميع من هم وراء الأسوار سواء كانوا محاربين أو كانوا نساء أو أطفالا، وليس المنجنيق إلا الصورة البدائية لمدافع الحصار الضخمة فى عصرنا الحديث عندما تسلطها

(*) رواه الأربعة.

الجيوش على المدن التى تأبى الاستسلام، أو قاذفات القنابل التى تغير على المدن والمراكز التى توجد بها قوة العدو، فيكون من وراء ذلك إصابة الكثير من المدنيين وهدم دورهم، ولكن تلك مسألة لا مرد لها ولا مناص منها، فهى إحدى ضرورات الحرب التى لابد منها لكسر شوكة العدو، ولذلك يتعين على الأمة التى تريد تجنيب سكان مدينة من مدنها ويلات الحرب أن تعلن أنها مدينة مفتوحة، فتخليها من كل قوة عسكرية أو كل ما يعين على الحرب أو يتصل بها عن قرب أو بعد ، وفى هذه الحالة يكون من الواجب على الفريق الآخر أن يحترم هذه المدن وساكنيها فلا يتعرض لهم بسوء، وإلا كان معتديا باغيا، ويجب أن يخضع نظام المدينة المفتوحة للقاعدة العامة فى الحرب وهى المقابلة بالمثل، وإلا فلا يعود هناك احترام لهذه المدن ما دام الطرف الآخر لا يتبعها أو يحترمها.

الهجوم خير وسيلة للدفاع:

على أن الحرب الدفاعية لا تقتصر صورتها على الانتظار والتربص حتى يهجم العدو ثم مقاومة هجومه بعد ذلك، بل قد يتعين على المدافع عن نفسه أن يكون هو البادئ بالهجوم على عدوه، متى ثبت لديه أن هذا العدو يتجهز لحربه ويجمع الأسلحة

ويجهز الجيوش ويعقد المحالفات! . ويتحين الفرصة منتهزا غرة من المعتدى عليه لينقض عليه ويبطش به البطشة الكبرى، ففى هذه الحالة يكون من الخير عدم انتظارالعدو حتى يكمل استعداده ويضرب ضربته فى الوقت الذى يختاره، بل يجب مفاجأته بالهجوم عليه، ولا يغير ذلك من طبيعة الحرب ويقلبها إلى حرب هجومية، أو حرب غير مشروعة، بل إنها تظل محتفظة بصفتها الدفاعية، ذلك أن حق الدفاع لا يقف عند حد دفع الأخطار المباشرة، بل هو يشمل كذلك الأخطار المتوقعة متى تحقق للإنسان قرب وقوعها، وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾.

أى إذا خشيت من قوم أن يخونوك ويضربوك على حين غرة، فأعلنهم بخشيتك منهم وأطلب منهم ما يوضح نياتهم حيالك، وأن يزيلوا أسباب ريبتك وما يهدد سلامتك، وهو ما تفعله الأمم الحديثة عندما تحشد إحدى جيرانها جيشها على الحدود لغير سبب مفهوم، فإن الدولة الأخرى تبادر بطلب إيضاحات عن سبب حشد هذا الجيش، وربما طالبت بتسريحه وإلا اعتبرت ذلك إجراء موجها ضد سلامتها، وأصبح من حقها أن تدافع عن نفسها بالهجوم على هذا الجيش وتشتيته وإبعاده عن حدودها.

الحرب لردع البغاة:

ويماثل هذه الحرب الدفاعية فى مشروعيتها، ويفوقها فى قدسيتها وسمو غايتها كل حرب يكون الغرض منها رد عادية المعتدين على إحدى الأمم الأخرى وتأديب البغاة والظالمين الذين يعيثون فى الأرض فسادا ويهلكون الحرث والنسل وينقضون المعاهدات ويخالفون العهود والمواثيق والقواعد الدولية، ويعكرون السلام لرغبتهم فى جرالمغانم والمكاسب وحب الحرب للحرب وإراقة الدماء، فكل جهد حربى يبذل فى ردع هؤلاء البغاة المعتدين يباركه الله وتهلل له الإنسانية ويدعم أسس المدنية البشرية.

إن الأمم كالأفراد يجب أن تخضع علاقاتها فيما بينها لقوانين وقواعد مرعية يكون أساسها الثقة المتبادلة والوفاء بالعهود واحترام الحقوق وإقرار السلام والتعاون فى ظل العدل والإنصاف، والابتعاد عن كل ظلم وإجحاف، ويتوقف على قيام هذه القواعد الدولية ومدى احترامها الحكم على حضارة الإنسانية فى مجموعها، وهل لا تزال فى أول أطوارها البدائية، أم شبت وترعرعت واتجهت نحو المثل الأعلى والكمال. ويضع القرآن قواعد هذه الحرب وأدوارها وهدفها مما لم يستطع العالم أن يصل إلى تحقيقه حتى الآن فيقول:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

فإذا قامت حرب بين طائفتين من المؤمنين فالقرآن يطلب من بقية الأمم الإسلامية أن يتوسطوا على الفور لإصلاح ذات البين وإعادة السلام والصفاء، فإذا رفضت إحدى الدول الوساطة أو ظهر من التحقيق أنها معتدية على الدولة الأخرى، فقد وجب أن يطلب منها الكف عن عدوانها والتزام حدودها، فإن أبت إلا المضى فى عدوانها فقد وجب التوجه لحربها حتى تغلب على أمرها فتستسلم أو أن تقبل النزول على حكم العدل والقسطاس ففى هذه الحالة يتعين وقف القتال معها وتسوية النزاع بين جميع المتحاربين على وجه العدل و الإنصاف لا على وجه الظلم والإجحاف بالمغلوب، لأن العدل وحده فى هذه الحالة هو الذى يعيد الأمور إلى نصابها ولا يدع مجالا لنشوء إحن جديدة وأحقاد يحفز للأخذ بالثأر والانتقام، وهذا القيد الأخير الذى اشترطه القرآن هو مالم تحرص الأمم حتى الآن على تحقيقه فى مؤتمرات الصلح ومعاهداته، بل طالما كان شعارهم لهم فى هذه المعاهدات «الويل للمغلوب» ومن هنا فشلت كل محاولاتهم وجهودهم لإقرار السلام مع شديد رغبتهم فيه.

وقد حاولت الأمم أن تنص على هذه القواعد فى ميثاق عصبة الأمم الذى أبرمته عقب انتهاء الحرب العظمى الماضية ورمت من ورائه إلى توطيد دعائم القانون الدولى، ولكنها لم تستطع أن تطبقها كما ذكرت ذلك من قبل لشدة مطامع الدول وحرص كل منها على تحقيق أغراضها وشهواتها، وتعد أمريكا وانجلترا العالم من جديد فيما أطلقتا عليه دستور الاطلنطيقى ! أنهما ستعملان على توطيد دعائم القانون الدولى واحترام حقوق الأمم على السواء وتسوية المنازعات بروح العدل والإنصاف!. وأنهما سيحولان دون اعتداء أى أمة على أمة أخرى!. ولكن الدلائل كلها تدل كما قلت فى مقدمة حديثى على أن ذلك كله ليس إلا ذرا للرماد فى العيون وسترا للأغراض ! وأن المستقبل سيكون صورة مكررة لما حدث فى الماضى، وأنما سيتحقق هذا العدل المنشود عندما توجد قوة عسكرية ضخمة لإحدى الأمم لا تسخرها لبسط سيادتها على بقية الأمم وجر المنافع والمغانم لجانبها، وأنما لتطبيق هذه المبادئ السامية على الأمم، ولا سبيل لذلك إلا عن طريق الأمة الإسلامية بعد أن تسترد مكانتها فهى التى برهنت فى ماضيها على نزاهتها إذ يأمرها قرآنها باتباع العدل و الإحسان والخضوع لسلطان الحق والإنصاف. وهذا يؤدى بنا إلى ذكر النوع الثالث من الحروب المقدسة.

الحرب لإصلاح البشر:

يفقد المجتمع الإنسانى من حين لآخر وحدة الغاية التى يعمل من أجلها، فتضطرب أموره وتسود الفوضى شتى نواحيه وأطرافه، ويدب الخلل إلى القواعد التى يقوم عليها بنيانه فلا ترى إلا طوائف متحاربة متطاحنة يبطش بعضها ببعض ويبغى بعضها على البعض الآخر، لاتعاون بينها ولا تفاهم ولا سلام ولاغاية معلومة تدفعهم إلى الحرب، ولكنه الاضطراب والاختلال، فلا يعود هناك قانون أو دين أو عرف أو تقاليد، بل اضطراب عام فى كل مكان وفوضى متماسكة الحلقات يشقى الناس فى ظلها لا فرق بين فرد وفرد، وإنما محنة عامة وبلاء شامل.

فى مثل هذه الأحوال يصبح العالم فى حاجة إلى مصلح يعيده إلى طريق الرشاد ويهديه إلى الصراط المستقيم ويخلصه من براثن الفوضى والانحلال، ويحرر بنى البشر من براثن العبودية، لا للطغاة والبغاة من الملوك والأمراء والكهان فحسب بل من استبداد الإنسان بأخيه الإنسان ولا سبيل لمثل هذا الإصلاح الشامل إلا عن طريق مبضع الجراح.. إلا عن طريق الحرب التى يقوم بها الدعاة المصلحون ليهزموا كتائب الفساد ويمحقوا جيوش الباطل والفوضى والاضطراب، هذا هو ما اضطلع به

رسول الله محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده، فأسعدوا من استظل بلوائهم فترة من الزمان وأناروا الطريق للإنسانية فعادوا بها إلى حظيرة النظام و الحضارة بالإيمان، لا بالنسبة للذين دخلوا تحت لواء الإسلام أو استظلوا بالراية الإسلامية فحسب، ولكن بالنسبة للذين ظلوا فى منأى عنه فى حرب مستمرة ضده! . لأنهم فى النهاية قد تأثروا بتعاليمه وأصلحوا من شأنهم على ضوء مصباحه! . وقد اتفقت الآراء الحديثة على أن المسلمين هم الذين حفظوا للعالم تراثه من الحضارات القديمة وزادوا عليها الكثير من العلوم والفنون والانظمة، فكان هو الأساس الوطيد الذى قامت عليه حضارة العالم الحديثة فى القرون الأخيرة، هذا الواجب الإنسانى أى إصلاح أمور البشر فرضه الله على المسلمين بقوله:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فواجب الجماعة لا يقف عند حد إصلاح شئونها الخاصة وتقويم عقائد أفرادها بل يمتد إلى إصلاح سائر البشر وتقويم اعوجاجهم وتنظيم أمورهم بما يحقق لهم السعادة الوافرة.

فعلى الأمة القادرة على هذا الإصلاح أن تنهض للاضطلاع

بهذا العبء غير باخلة بأى جهد أو تضحية فى هذا السبيل متحملة كل ما يفرضه الجهاد فى سبيل هذا المثل الأعلى من حرمان ومشقات وبذل ومغامرات غير رامية من وراء ذلك إلى الحصول على جزاء أو شكر أو جر مغنم أو المطالبة بأجر سوى رضاء الله الكريم باحقاق الحق وإزهاق الباطل ونشر ألوية الخير والصلاح وتنكيس أعلام الباطل والضلال والقضاء على الشر والفساد، لأن التجرد من حب المنفعة هو العلامة الدالة على صدق طوية القائمين به، وأنهم يخوضون حربا مشروعة مقدسة خالية من كل بغى أوعدوان، إنما كما كانت عليه حال المسلمين فى صدر الإسلام، فبينما كانت جيوشهم تذهب فى الفتح شرقا حتى أشرفت على أسوار الصين، وغربا حتى أوشكت أن تطل على ساحل المحيط الاطلنطيقى فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت المجاعة والقحط مسيطرين على شبة جزيرة العرب وعاصمة الدنيا الجديدة مدينة رسول الله التى خرجت منها كل هذه الجيوش الفاتحة!. فلم يكن بوسع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلا أن يرسل الاستغاثة تلو الاستغاثة لعماله فى مختلف البلاد طالبا منهم إمداد أهل المدينة بشئ من القوت الضرورى للحياة.

وكان هذا السيد الذى تسيطر جيوشه على أضخم امبراطورية

عرفها التاريخ يبيت أكثر الأيام هو وأولاده على الطوى لم يتناولوا من الطعام إلا ما يسد الرمق ويبقى على الحياة! هذه هى سمة الحرب المقدسة.. حرب الإصلاح والتنوير والتحرير ، لا ما يفعله الأوروبيون اليوم كذبا وإدعاء وهم ينتهكون حرمة الشعوب ذات الحضارة القديمة معلنين أنهم يفعلون ذلك لتمدينها وتحضيرها وإقرار النظام والسلام بها، فلا يلبثون بعد أن يضعوا أقدامهم فيها حتى يحولوها إلى مزرعة تدار لحسابهم، وكل من فى هذه المزرعة عبيدا لمشيئتهم ، ولكى يضمنوا استمرار استثمارها وترسخ أقدامهم بها يعملون على إطفاء كل نور، وإخماد كل معنوية وكل قبس من الحياة فيها وينشرون من ناحية أخرى المفاسد والآثام الخلقية متخذين بطانة وصنائع من أسافل القوم ليمكنوا لهم فى الأرض ويسهروا على ابقاء سواد الأمة فى الأسر والذل وهذا هو شأن الاستعمار الأوروبى.

الرحمة شعار حرب الإصلاح:

وثمة ظاهرة أخرى يجب أن تتصف بها الحرب الإصلاحية غير تجردها من المنفعة والمآرب الشخصية، هى أن تسود الرحمة جميع أفعالها، وأن يكون التسامح والتأنى شعارها، والرفق بالشعب المغلوب والإحسان إليه مظهرها وسمتها ، وهذا على

خلاف الحرب الدفاعية حيث تباح جميع الوسائل والأساليب التى تؤدى إلى قهر العدو وتحطيم شوكته واستخدام البطش والشدة فى كل إجراءاتها.

أما فى الحرب الإصلاحية فالقائم بها هو المهاجم، وهو الذى يحدد نطاق الحرب وأساليبها، وهو الذى يضع القواعد التى سيقابله بمثلها الطرف الآخر،فيجب أن يحدد الأعمال العسكرية فى أضيق نطاق وبحسب ما تقتضيه الضرورة العسكرية البحتة، فلا يعمد إلى القتال قبل أن يبين أغراضه السامية بوضوح للطرف الآخر، فيبسط له المبادئ التى يدعو إليها والبرنامج الإصلاحى الذى يرغب فى تنفيذه، فإذا قبل الطرف الآخر الأخذ بهذه المبادئ وتحقيق الإصلاح المطلوب فقد كفى الله المؤمنين القتال وأصبح لزاما عليهم أن يعودوا أدراجهم وأن ينظروا للشعب الجديد نظرتهم إلى إخوانهم الأقربين، فيكون لهم كل مالهم وعليهم ما عليهم وبذلك كان يفعل رسول الله ﷺ:

«أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه».

وقد أمر القرآن بإمهال المخالفين وإرشادهم وتعليمهم المبادئ الجديدة وذلك فى قوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾.

فإن أبوا إلا القتال والمناجزة فعندها يتحتم قتالهم على شريطة أن يدور هذا القتال فى الحدود الضيقة التى بينتها فى مقدمة هذه السطور، وأن تكون الرحمة هى شعار المحاربين وهذا ما كان يوصى به النبى وخلفاؤه من بعده جيوشهم إذا ذهبت للغزو فى البلاد الأجنبية، فقد رو ى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصيته ليزيد حين بعثه أميرا لفتح الشام «يا يزيد لا تقتل صبيا ولا امرأة ولا هرما ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعفرن شجرا مثمرا ولا دابة عجماء ولا شاة إلا لمأكلة ، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه، ولا تغلل ولا تجبن، وستمرون على اقوام فى صوامع لهم احتبسوا أنفسهم فيها فدعهم حتى يميتهم الله على ضلالتهم».

وليس هناك بعد ذلك قواعد لقتال تسوده الرحمة والإنسانية وحب الإصلاح والتعمير كهذه القواعد التى قررها خليفة رسول الله فى هذه الوصية والتى كررها من بعده عمربن الخطاب لجيوشه وأضاف إليها «اتقوا الله فى الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب»وقد نقل أبو بكر وعمر هذه الوصايا عن رسول الله ﷺ ونزولا عند نص القرآن الذى يحرم الفساد والإتلاف فى الأرض بقوله:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

وقد نفذ المسلمون هذه الأوامر والتعليمات بدقة فى البلاد التى دخلوا إليها فدلوا بذلك على أنهم هداة مصلحون وليسوا غزاة مستعمرين، وهذا ما جعل الناس تدخل فى دين الله أفواجا وتتثقف بثقافة الفاتحين، وتتحدث بلغتهم مما لم يسبق له مثيل فى التاريخ، فأين هذا مما تفعله دول أوروبا الحديثة التى يبدأ إصلاحها المزعوم بالفتك بالشعوب الضعيفة فتكا لا تبرره قوانين ولا أخلاق ولا تشوبه شائبة من الفضيلة أو الرحمة، فهذه إيطاليا التى أقدمت على استعمار الحبشة فى إبان القرن العشرين الذى يصفونه بإزدهار الحضارة وانتشار مبادئ الرحمة والإنسانية قد لجأت فى حربها لهذه الأمة الصغيرة إلى استخدام الغازات السامة تقذفها بهم الطائرات فتخنقهم خنقا وتحرقهم حرقا وهم لا يملكون الرد عليها أو الدفع عن أنفسهم بأى لون من ألوان الدفاع، ولم تكن إيطاليا فى ذلك مهما قيل عن فظاعتها ووحشيتها إلا مترسمة خطى كل من سبقها من أمم أوروبا المستعمرة، فكم عمد الكثير منهم إلى إبادة القبائل التى يصادفونها فى الأراضى المستعمرة إبادة مطلقة بأخس الأساليب وأوضعها كتسميمهم أو إعدامهم جملة بالرصاص بدعوى

توحشهم وبربريتهم وعدم إمكان تمدينهم، فلا عجب أن امتلأت الشعوب المغزوة حقدا عليهم واحتقارا لهم، فلم يستطيعوا أن يغيروا من عاداتها أو تقاليدها قيد شعرة حتى ولو كانت هذه العادات والتقاليد فى حد ذاتها بالغة مبلغا كبيرا من الشناعة والقسوة والحماقة والجهل.

الحرب غير المشروعة:

لست أحسبنى بعد ما تقدم فى حاجة لكبير شرح لأبين ماهية الحرب غير المشروعة التى تتسم بسمة الاعتداء والبغى والطغيان، فكل حرب لم تكن دفاعا عن النفس أو المال أو العقيدة، وكل حرب لم يكن الدافع إليها إحقاق الحق ورفع منار العدل بين البشر والعمل على إصلاحهم، هى حرب غير مشروعة.. كأن يعمد جنس إلى الاستعلاء على بقية الاجناس الأخرى أو أمة للسيطرة على الأمم الأخرى إدعاء منها بانحدارها من دم معين ممتاز أو لاتصافها بلون معين من الألوان، فالناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم سواء أمام الله وأمام الحقيقة وأمام المشاهد الملموس، فالناس كلهم قد خلقوا من ذكر وأنثى، ومن التراب خلق هذان الذكر والأنثى وصدق القرآن الكريم إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

وحقا قد يتفاوت الناس رقيا وعلما ومدنية، ولكن ذلك إنما يرجع لاختلاف ظروفهم وإنعدام الأسباب التى قد تتوافر لغيرهم فيكون حقا على المتعلم أن يتصدى لتعليم الجاهل لا لاستعباده واسترقاقه، والسليم أن يتصدى لإبراء العليل، لا أن يزيد فى علته، والرفيع أن يأخذ بيد الوضيع، لا أن يزيد فى وضاعته، وبهذا يتقابل الناس على سرر المحبة متآخين لا أعداء متنابذين.

فهذه الحروب الاستعمارية التى ترفع أمة فوق أمة وتسخر الأخيرة لخدمتها سالبة إياها حريتها وشخصيتها وواقفة فى سبيل نموها وتطورها الذى هو حق جميع الأحياء على السواء أفرادا وجماعات هى حرب غير مشروعة، وكل حرب غير دفاعية شابها العنف والقوة وتناول بطشها غير المحاربين من نساء وأطفال وشيوخ، وهدمت فيها بيوت المدنيين وضربت مدنهم وقراهم، وهى حرب غير مشروعة مهما كان غرضها وهدفها، متى قامت على خرق العهود والمواثيق والقوانين الدولية.

فلا تكاد توجد حرب غير مشروعة لا يكون ابتداؤها واستهلالها بالنكث بعهد من العهود المقطوعة فى معاهدة خاصة أو معاهدة دولية، فالحنث بالعهود والغدر هما صفتا المعتدين

دائما وأبدا، أما الهداة والمصلحون الحريصون على صيانة الحقوق والعدل فلا يمكن أن يخونوا عهودهم التى أبرموها بمحض إرادتهم أو أن يغدروا بفرد فضلا عن جماعة أو أمة ركنت إلى صداقتهم أو تحالفهم وجوارهم، حتى ولو كانت هذه الجماعات على غير دينهم أو مذهبهم أو كانت فى حرب معهم قبل إبرام العهد والميثاق.

ولم يغلظ القرآن ويشدد فى مسألة ويكرر فى التشديد أكثر مما فعل بالنسبة للوفاء بالعهود بصفة عامة فى جميع المعاملات ، وبصفة خاصة فى المعاملات الدولية إذ قال فى محكم آياته: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ .

وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ .

وقد ذم الناقضين للعهد فجعلهم شرا من الدواب فى قوله:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وتطبيقا لهذه القواعد وهذه الروح أوجب القرآن على الرسول التمسك بكل معاهداته التى أبرمها مع المشركين ما بقى الطرف الآخر محترما نصوصها، وذلك بقوله :

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

ويحتم القرآن على المسلمين الانتصار لإخوانهم المسلمين الذين لم يهاجروا وظلوا فى صفوف الكفار، ولكنه يستثنى من كان بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق:

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾.

وهكذا جعل القرآن حرمة الميثاق المقطوع فوق كل مصلحة صغرى وعليا من مصالح المسلمين راميا من وراء ذلك إلى جعل الوفاء بالعهود والالتزامات حجر الزاوية فى بناء المجتمع الإنسانى وقيام العمران والمدنية.

وقد قدرت المجتمعات البشرية فى مختلف العصور والأمكنة هذه القاعدة وضرورتها للمجتمع، فطبقتها بين الأفراد بما صاغت من قوانين ووضعت من جزاءات على المخالف لها، ولكن تطبيقها بين الأمم والدول المختلفة لم يجد رواجا أو نجاحا حتى الآن، فلا هّم للأمم القوية إلا أن تعقد المعاهدات بنية المبادرة إلى نقضها والإخلال بأحكامها فى اللحظة التى تتحقق فيها المصلحة من وراء ذلك، على أن هذا الداء الوبيل والشر المستطير لم يبلغ فى أى عصر من العصور مبلغه فى القرون الأخيرة التى تبوأت فيه أوروبا قيادة العالم حيث أصبح النكث بالعهود ونقض المعاهدات هو فضيلة الأمم، وما تزهى به وتفخر، لا فرق فى هذا الشأن بين دولة أوروبية وأخرى ! وإن اختلفت كل منها فى أساليبها وطرائقها (*).

وستظل الحياة الدولية مضطربة قلقة ولن يستقر للعالم قرار ولو نسبيا ويستأنف تطوره نحو حالة أكمل من التعاون البشرى حتى تثبت هذه القاعدة ثبوتها فى الحياة الفردية وتتولى قوة حربية نزيهة الإشراف على تطبيقها واحترامها.

(*) حسبنا أن نشير فى هذا الموضع إلى وعود الانجليز لمصر بالجلاء دون أن يتحقق هذا الوعد، ونقض الانجليز الكتاب الأبيض الخاص بفلسطين.

الفصل الثالث

الاستعداد للحرب ـ التسلح ـ الطيران ـ الصناعات العسكرية ـ تجنيد مختلف طوائف الأمة ـ ثمن النصر ـ وصية ونداء

وجوب الاستعداد للحرب:

يتبين من التفصيل المتقدم أن العالم لا يمكن أن يخلو من الحروب سواء كانت الحرب مشروعة أوغيرمشروعة، فما من حرب مشروعة إلا وتقابلها حرب غير مشروعة، وما من حرب غير مشروعة إلا ويجب أن تقوم فى وجهها حرب مشروعة، فالحربان تسيران جنبا إلى جنب كسير الخير والشر، فسواء أردنا أن نعيش فى العالم كما هو، أو أردنا أن نتصدى لإصلاحه، فلا سبيل للحياة أو الإصلاح إلا بالاستعداد المتواصل للحرب والتجهز للقتال، ولن يستطيع فرد فضلا عن جماعة يريد أن يعيش آمنا على نفسه وماله وحريته أن يدرك بغيته إلا إذا جعل من نفسه محاربا، وتسلح بالسلاح الكافى، ولا سبيل للمحافظة على السلم إلا بالإكثار من أدوات الحرب حتى يرتدع كل من تحدثه نفسه بالإخلال بالسلم، وكلما كان الشخص خيرا والجماعة خيرة وجب عليها أن تزيد فى استعدادها للحرب، وأن تضاعف فى تسلحها وإلا تمكن الأشرار من الاستبداد بها.

ولذلك فإن جميع الشعوب الحية تجعل الاستعداد المتواصل للحرب ديدنها وأقدس واجباتها، وهى لا تنفك تزيد فى قوة أسلحتها متمشية مع أحدث التطورات التى انتهى إليها العلم

الحديث وارتقاء الصناعة، وهى تبث الأرصاد والعيون سرا وجهرا فى بلاد جيرانها ـ أصدقائها وأعدائها على السواء ـ لينقلوا إليها مدى نشاط هذه الأمم فى تسلحهم وما يمكن أن يكون قد استحدثوه من آلات القتال أو أساليبه، حتى لا يدهمهم داهم فى يوم من الأيام بقوة يعجزون عن ردها أو بسلاح جديد شديد الفتك والبطش لا قبل لهم بمقاومته، فلا تكاد دولة من دول العالم القوية تزيد فى قوتها فى البر أو فى البحر أو فى الجو حتى تسرع بقية الأمم إلى مجاراتها، والريادة عليها إذا استطاعت إلى ذلك سبيلا، لتظل محتفظة بمستواها الذى اختارته لنفسها ولتبقى آمنة من الاعتداء على أراضيها وأبنائها.

وهذا التسابق فى الاستكثار من السلاح يجد مقاومة من بعض المفكرين الذين يرمون إلى إبطال الحروب وإلغائها ظنا منهم أن التسلح هو السبب المباشر الذى يؤدى إليها، وهو جهل بطبيعة الحياة، وتاريخ العمران والبشر، فقد كانت هناك حروب بين البشر عندما لم تكن هناك أسلحة، وكان الصراع وقفا على استخدام قوة الجسد، ولم تخترع الأسلحة إلا لتدفع عن ضعيف البنية شر الأقوى منه جسدا، فالتسلح نتيجة لوجود الحروب وليس أصلا لها، وليس هناك ما يخلق الحرب خلقا أكثر من وجود ضعيف وقوى، وليس هناك ما يخفف من ويلات الحرب

ويطيل أمد السلم أكثر من تكافؤ القوى، فالسلم لا يمكن أن يوجد إلا إذا كان سلما مسلحا تحميه الأسلحة وقلوب المحاربين المتأهبة للذود عنه، فإقدام أمة على نزع سلاحها مع يقينها بأنه ستظل فى العالم دائما أبدا أمم كاملة السلاح، هو بمثابة الانتحار والوقوع فى براثن الذل والاستعباد للأمم المسلحة.

وهذه الدعوة إلى التسلح الدائم والاستكثار من السلاح، هى ذات دعوة القرآن الناصعة وما أظهرته السنة المحمدية وطبقته، فالقرآن يقول:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ .

فالقرآن يأمر بالتجهز الدائم لإرهاب كل من تحدثه نفسه بالاعتداء ممن يعلمهم الإنسان وممن لا يعلمهم إلا الله لأنهم لا يزالون فى عالم الغيب، فلا ينبغى للإنسان أن يركن إلى ما قد يراه من صداقة قد تخفى فى طياتها حقدا دفينا، وقد يتمسك شعب بأهداب السلام فترة معينة ثم يتغير حاكمه فتصبو نفس الحاكم الجديد إلى الحرب فيتجهز لها سرا. فالأمة يجب أن تتجهز بالسلاح وكل أسباب القوة على سبيل الدوام، وأن تقرن إلى ذلك الحذر من كل ما يدور حولها عن قرب أو بعد، كما قال تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

وقد بلغ من حرص القرآن على تنبيه المسلمين إلى وجوب الحذر المستمر وتقلد السلاح الدائم، أن دعاهم إلى أن يصلوا صلاة مسلحة (*) متى أوجسوا خيفة من أى شر يتهددهم، وذلك بقوله :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾.

ويدعو القرآن إلى حراسة الحدود والسهر عليها بالقوة المسلحة على سبيل الدوام والاستمرار بقوله :

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

وروى سهل عن رسول الله ﷺ قوله:

«رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» (**).

وذلك كله إظهارا لفضل حراسة الحدود والاستعداد الدائم

(*) تسمى هذه الصلاة «صلاة الخوف»..ولها كيفية خاصة، ولا تؤدى إلا أثناء القتال.
(**) رواه البخارى والترمذى.

لمواجهة الأخطار، ولذلك فقد كان المسلمون الأوائل يعتبرون المرابطة فى الثغور الإسلامية ـ هى حدودها ومداخلها ـ أعظم الأعمال قربة عند الله فيقبلون عليها ويتنافسون فى أدائها!.

وقد أوجب تطور الأسلحة الحديثة وعلى رأسها الطيران الذى يضرب الأمة فى صميمها بعد ساعات من نشوب القتال مهما اتسعت رقعة الدولة، أوجب هذا التطور على الأمم أن تتخذ أهبتها المستمرة ضد هذا السلاح، سواء بالإنذار بغاراته أو إتقاء ضرباته سلبا وايجابا وأعنى بالسلب أسباب الوقاية المختلفة وعلى رأسها المخابئ الحصينة، وبالايجاب أسلحة الدفاع ضد الطيران من أنوار كاشفة ومدافع أرضية وطائرات مطاردة.

وإذا كان سلاح الطيران قد قلب الحروب رأسا على عقب فزاد فى عنفها واتساع نطاقها ولم تعد المعارك تدور فى رقعة من الأرض لاتتجاوز بضع كيلو مترات بل صارت المعركة الواحدة تشمل جبهة تمتد ألفا من الكيلو مترات.

وأصبح العالم كله ميدانا للحرب بسبب هذا الطيران الذى يسابق الريح ويربط الشرق بالغرب، فلا سبيل إلى أن تخلو رسالتى عن الحرب من تفصيل شامل فى شأن الطيران وخطورته، وواجب المسلمين فى التدريب عليه والإكثار من وحداته.

سلاح الطيران:

سلاح الطيران اليوم - ولما يزل هذا السلاح فى أطواره الأولى - هو السلاح الفذ فى الحروب والمهيمن على المعارك وصاحب الكلمة الأخيرة فيها، أما فى المستقبل فسيكون من غير شك هو السلاح الوحيد فى البر والبحر والجو، وبقية الأسلحة إن ظل لها وجود فستكون أسلحة مكملة ومساعدة، فلن يكون هجوم أو دفاع إلا عن طريق الطائرات بعد أن لم يعد الطيران مقصورا على قذف القنابل وإطلاق الرصاص، وإنما أصبح يقوم بنقل الجنود والأسلحة والذخائر والمهمات، لا الخفيف منها فحسب، بل الثقيل أيضا كالسيارات المصفحة والدبابات ومدافع الميدان ! وبعد أن كان إنتاج الطائرات يعد بالعشرات كل شهر أصبح يعد بعشرات الألوف، وبعد أن كانت الأمة تعد شديدة البأس متى كان لها بضع مئات من الطائرات أصبحت وليس يكفيها أن يكون لديها مئة ألف طائرة أو مائتا ألف.

وقد قامت الحرب حتى اليوم (*) فلم يحرز أحد المتحاربين نصرا لم يكن مرجعه قوة سلاحه الجوى، ولم يصب بهزيمة لم يكن السبب فيها ضعف السلاح الجوى، فاندحار بولندا واحتلال النرويج وهزيمة هولندا وبلجيكا وفرنسا فى الغرب، واليونان ويوغوسلافيا فى الشرق، واحتلال كريت، كل هذا كان نتيجة

(*) وقت كتابة هذه السطور.

مباشرة لتفوق الألمانيين فى الجو ، وعجز الألمان عن قهر انجلترا وروسيا يرجعان إلى عدم استطاعتها السيطرة على جو كل منهما، والآن وميزان الحرب يبدو مائلا فى الجانب الآخر، فإن السبب فى ذلك هو سلاح الطيران أيضا ورجحانه فى هذه الكفة(*).

على أن تأثير السلاح الجوى لم يعد مقصورا على كسب المعارك الحاسمة فى الحرب، بل أصبح له تأثير أبعد غورا فى كيان الأمم المادى لما يقوم به كل من المتحاربين من غارات مدمرة على مدن الطرف الآخر الآهلة بالسكان ومراكز إنتاجه وأسباب مواصلاته، فيدكها دكا ويدمرها ويحرقها ويقلب عاليها سافلها، كالأعاصير والزلازل والبراكين التى تخسف جانبا من البر فتحيله بحرا طاميا أو ترتفع بغور المحيط فتجعل منه جبلا شاهقا، وتدمر المدينة الزاهرة بالعمران فتجعلها طلولا وانقاضا، ورمما وأجسادا بالية مما يصدق عليه قول الذكر الحكيم:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ .

فلم يعد الطيران سلاحا كأسلحة الأمس، يقتل أفرادا أو مئات

(*) أمامى نشرة رسمية للولايات المتحدة تعلن فيها أنه سيكون لديها ١٨٥ ألف طائرة فى ختام عام ١٩٤٣، فإذا استمرت الحرب بعد ذلك فكم يصبح عدد طائرات هذه الدولة بمفردها غيرما تنتجه انجلترا وروسيا.

أو ألوفا بل أصبح بقدرته أن يفنى شعوبا بأكملها، أو بالأحرى يفنى حضارتها وزبدة حياتها (*).

أثر الطيران النفسي:

وليس يقتصر الإنقلاب الذى يحدثه الطيران فى تكوين نفسية البشر وأخلاقهم على ما يحدثه فى ماديات الحرب ومواصلات العالم، فإلى حيث السحب والشهب يتسامى الطيار مصعدا فى الهواء ممسكا بعنان الرياح مسيطرا على كل الكائنات اللاصقة بالأرض، حيث يرى المدن أسفل منه لا تزيد على رقعة كفه، والعمارات الشاهقة والميادين الواسعة والقطارات الداخلة إلى المدينة والخارجة كدمية من الدمى، وألعوبة من ألاعيب الصبيان، ويرى رقعة المملكة ذات الحول والطول التى تغص بكل ألوان الحياة كأنها صورة جامدة لا أثر فيها من حياة، لا فرق بين جبالها وبحارها وسهولها ونجودها إلا بالألوان ، فيبعث ذلك كله إلى نفس الطيار الحكمة والفكر السليم، وما أروع ما تنطوى عليه نفس هذا الطيار من إيمان وشجاعة وبسالة وهو يحلق فى هذا الفضاء عندما تعصف به العواصف وتتقاذفه الرياح، وهو ليس إلا كالريشة فى مهب الرياح، بل إن الريشة لأسعد حالا لأنها

(*) زادت خطورة الطيران بعد اكتشاف القنبلة الذرية التى قد يكفى بضع عشر قنبلة منها تلقيها طائرة لإبادة عاصمة أمة.

جماد لا يحس ولا يشعر، ولا تنال الرياح منهما شيئا لخفتها ومطاوعتها، أما الطيارة فذات جرم وحجم تصطدم به الرياح فتذروه هباء، وناموس الجاذبية لا ينفك يجذب الطائرة ليهوى بها نحو الأرض ويجعلها حطاما وأنقاضا، والطيار لا يملك لمدافعة كل هذه المخاطر المحدقة به إلا هذا المحرك الذى يدور محدثا هذا الأزيز فى الهواء، وما تعلمه من علم وفن واكتسبه من دربة ومران فى معالجة الرياح ومداورتها والانتفاع بتياراتها فى ثبات وهدوء وصبر. ما أجمل هذا الطيار وأروعه عندما يكتشف وهويحلق فى الفضاء خللا فى طيارته أو نفاد وقودها، مما يجعله يرى الموت الأحمر وقد بات دانيا مرفرفا بأجنحته الرهيبة، مكشرا عن أنيابه المخيفة فيكون على الطيار ألا يفقد شعوره أو حواسه وأن يتمسك بهدوء الطبع وثبات القلب وإعمال الفكر للنجاة من الموت بإصلاح الخلل أو الوصول إلى الأرض فى حذق ومهارة تبقى عليه وعلى من معه وعلى الطائرة التى أصبحت تقدر بثروة ضخمة.

هذه هى حياة الطيار العادية تطلب منه شجاعة وإقداما ومخاطرة ومهارة ودربة وعلما، فما ظنك به عندما يضيف إلى ذلك كله أن يتخذ من هذه الطائرة المعلقة بين السماء والأرض والمهددة بالسقوط من لحظة لأخرى مركبة قتال يصطدم بها

بمركبات العدو الذى تتصيده مدافعه لتدميره، أى أن الهلاك والتناثر فى الفضاء يتربص بالطيار المحارب من فوقه ومن تحته ومن يمينه وشماله، لا من العدو فحسب، بل من مطيته المعلقة بين الأرض والسماء.. فهل هناك بطولة سبقت هذه البطولة فى عصر من عصور البشرية، إلا فى أفراد قلائل يعدون على الأصابع، وأين تبلغ من هذا فروسية الخيل بعد أن تطورت وتسامت وضاق بها البر والبحر فحلقت فى السماء تبحث عن المجد.

أعدوا ما استطعتم من طائرات:

يقول القرآن الكريم فى الآية الخالدة الذكر :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾.

ولا جدال فى أن الخيول وقد كانت حتى الأمس القريب هى مركبة القتال وأهم عنصر من عناصره تدخل فى عموم صدر الآية ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ولكن القرآن الكريم شاء ألا يترك هذا الأمر لاجتهاد المسلمين، فنص صراحة على وجوب الاستكثار من الخيل وباركها رسول الله إذ قال عنها: إن الخير معقود بنواصيها إلى يوم القيامة، وحدد أوصاف الجيد منها، ودعا لاقتنائها وإجادة ركوبها والسباق عليها، وإذا كان المسلمون

الأوائل قد استطاعوا أن يهزموا جيوش فارس والروم، فقد كان لحذق المسلمين ركوب الجياد وإجادتهم القتال ركبانا، أثر كبير فى تحقيق هذا النصر، ولا يزال العربى حتى الآن أبرع فارس، والخيول العربية أشهر خيول القتال على الإطلاق، وقد بلغ من إكرام القرآن للخيل وتقديره لقوة بطشها وفعلها الذريع فى القتال، أن أفرد إحدى سوره لوصف فعال الخيل إبان غاراتها، وجعل الله من الخيل ومن فعالها قسما لتوكيد حكمه على الإنسان وحقيقة معدنه فقال وقوله الحق:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾.

وما أشار القرآن للجياد هذه الإشارة ودعا للإكثار منها بعد إشارته العامة لحشد أسباب القوة إلا لإبراز خطورتها وأهميتها فى تحقيق النصر فى القتال ، وتطبيق هذه الآية فى عصرنا الحديث بعد أن انقلبت أسلحة القتال كل هذا الإنقلاب، أن تستكثر الأمم من أسلحة الحرب الحديثة ابتداء من البندقية السريعة الطلقات ومدفع برن إلى مدافع الميدان القوية ومدافع الحصار الضخمة والسيارات المصفحة والدبابات والبوارج والطرادات، وعلى رأس القائمة كلها سلاح الطيران، كما كانت الخيول بالأمس

علـى رأس قائمـة الأسلحـة القـديمة، وكـما كان مـن المحال أن يغلب بالأمس فارس مغوار كرار فرار، فكذلك اليوم لا يمكن أن تلحق الـهزيمة طيارا باسـلا يركب متن طائرة قويـة سريعة، ولا يمكن أن يقهر شعب أو يغمز جانبه متى جعل من بنيه فرسانا فى الهواء، ولـست أحسب أن هـناك وسيلـة لرفع شأن الـفرد والأمة أنفع من الطيران.

مصانع الطائرات والأسلحة:

على أن الـطيران قبل كل شـئ صناعة، فلـيست الطائرة كـائنا حيا من صنع الله ـ ظاهرا ـ ولكنها آلـة من صنع البشر، يقوم على صنعها ألوف من العمال مستخدمين عديدا من الخامات المختلفة، فمن لم تكن عنده هذه المصانع وما تحويه من آلات وما تحتاجه من خامات، فـهو غير قـادر على أن يتوفـر لديه سلاح طـيران قوى، ومـن لا طيـران عنـده فـلا قوة لـه ولو كـان أشـجع الـناس طـرا وأصبرهم على مكاره القتال وأكثرهم استعدادا للتضحية، بل ولو كان مـدججـا بكـل صنـوف الأسلـحة الأخـرى كذلـك خلاف الطيران.

على أن الأسلـحة الأخرى من مدافع ودبابات ومـهمات لابد لصنـعها من المصانـع التى يعمل فـيها عشرات الألوف بـل مئات الألوف من العمال فمن لم تكن لديـه صناعة فلا قوة حربية عنده

لأن الحرب اليوم هى حرب الصناعة، ويمكن القول أن معركة النصر الكبرى إنما تجرى فى المصانع قبل أن تدور فى الميدان، فمن خسرها فى المصنع خسرها فى الميدان، ومن كسبها فى المصنع كسبها فى الميدان. ومعنى كسبها فى المصنع أن يكون السلاح أو الطائرة جيد الصنع كثير العدد متفوقا على ما يملكه العدو من نوعه سواء من حيث الفاعلية أو السرعة أو المتانة.

والحرب لا تجرى منذ القرن التاسع عشر إلا بين الأمم الصناعية الكبرى، والمنتصر فيها هو الصانع الأجود والأكثر إنتاجا، وإذا قدر للحلفاء أن يفوزوا فى هذه الحرب فسيكون مرجع ذلك إلى قوة أمريكا الصناعية الهائلة التى صارت مصنع الدنيا كلها لكثير من المواد الحيوية (*).

وليس ينفع الدولة المحاربة أن تعتمد فى أسلحتها وطيرانها على ما تستورده من خارج حدودها من طائرات مسلحة وذخائر مشتراة أو مستعارة، وإنما ينبغى أن يكون الجزء الأساسى من هذه الأسلحة والطائرات مصنوعا فى عقر دارها، وإلا عمد العدو، وهو عامد بالتأكيد، إلى قطع مواصلاتها مع الخارج، فترى نفسها

(*) أيدت الحوادث هذه النظرة فقد انتصرت أمريكا ومعها الحلفاء فى هذه الحرب لتفوقها الضخم فى الصناعة وقد جعلت اليابان تجثو على ركبتيها بمجرد اختراع القنبلة الذرية التى لا يقوى على إنتاجها فى الوقت الحاضر سوى أمة صناعية من الطراز الأول.

بدون سلاح تقاوم به، أو بسلاح ولكن بدون ذخيرة، أو بكمية من الذخيـرة لا تلبث أن تنـفد، بعد أن أصبحـت الحرب تعتمـد على سيـل جارف من الـذخائر والمقـذوفات، بل مـاذا يكون الحـال لو وقعت الحرب بين الأمة الموردة للأسـلحة والمستوردة؟! ألا يكون معنى هـذا القضاء على الأخـيرة؟ لذلك لا يستـورد سلاحه من خارج حدوده إلا شـعب مغلـوب على أمره تابـع لغيره!. فـدليل استـقلال أى شعـب ومدى حـريته أن تـراه يصنـع أسلـحة قتـاله بنفسـه، أو على الأقل الجزء الأكبر والـرئيسى منها وعـلى رأسها سلاح الطيران.

الصناعات المدنية:

وليـست تقف الـصناعـات الحربية عـند حد مـصانع الطـيران والأسـلحـة، بل إن الحـرب باتـت فـى حاجـة إلى كـل صنـوف الصناعات، فالحـرير الذى كان يعتبر لباس الـترف قد أصبح الآن من ألزم لزومـيات الحرب، إذ تصنع منـه المظلات التى يهـبط بها الجنود من الـطائرات خلف خطوط العـدو للقيام بأعمـال حربية واسعة النطـاق، ولابد للجيوش الجرارة من أطعمـة تجهز وتحفظ بطريقة معينة، وملابس يـرتدونها، وأدوية يتداوون بها، وكل هذه فى حاجة إلى مختلف المصانع الآلية لإنتاجها.

فلكى تكون الدولة حربية لابد أن تكون دولة صناعية وهذا هو ما فطن له عبقرى الشرق الحديث محمد على باشا، حيث جعل من مصر قطرا صناعيا من الطراز الأول، استطاع أن يجهز ما يحتاجه جيش مصر الحديث من سلاح وعتاد وأساطيل هزمت جيوش الدولة العثمانية أبطال الحروب وفرسانها.

ولا أمل للشرق بصفة عامة، والأمم الإسلامية والعربية بصفة خاصة، أن تنهض من كبوتها وتتبوأ مكانتها بين أمم العالم الحية، إلا بأن تستعيد تفوقها الصناعى الذى كان لها قبل اكتشاف الغرب للبخار والكهرباء، مما نقل إليه التفوق الصناعى، وبالتالى التفوق الحربى على الشعوب الإسلامية، مما أدى إلى استعباده إياها واستعمارها.

على أن الصناعات من ناحية أخرى تعتمد على الخامات والمواد الأولية، فينبغى على الأمة أن تعمل على توفير كل الخامات التى تتطلبها صناعاتها بالاستنباط والإنتاج فى داخل حدودها، وأن تخزن من المواد كل ما يمكن أن ينقصها فى حالة قيام حرب، وأن تنظر إلى هذه الخامات والمواد نظرتها إلى الأسلحة نفسها، فقد تنهار أمة محاربة من الطراز الأول لنقص فى المواد الأولية كالحديد والفولاذ، أو لنقص الوقود اللازم

لإدارة المحركات كزيت البترول الذى أصبح عنصرا من أخطر العناصر فى الحرب الحديثة بعد أن أصبح كل شئ يتحرك بالبترول ومشتقاته.

فالحرب اليوم لا يفوز فيها إلا من يستطيع مهما طالت الحرب واستمرت أن يجد كل حاجاته من الأسلحة والذخائر والملابس والمأكل، فالأمم التى تحترف الصناعة فقط وتستورد من الخارج طعامها وشرابها قد تخسر الحرب كالأمة الزراعية التى تأكل وتشرب ولكنها تستورد من الخارج أسلحتها، والأمة الكاملة هى التى تستطيع فى وقت الحرب أن تكفى نفسها بنفسها فى كل ما تتطلبه الحرب الحديثة لمواصلة الكفاح.

إعداد مختلف طوائف الأمة للحرب:

كانت الحرب فى القديم من مهمات الرجال القادرين على حمل السلاح ،ولكن ما حدث من انقلاب فى سير الحروب بعد اتساع نطاق سلاح الطيران وصيرورتها شاملة لكل مجهود الأمة، واضعا جميع أفرادها فى الصف الأول من ميدان القتال، لافرق بين محارب وغير محارب، ولا بين رجل وامرأة وشيخ فان أو صبى صغير ، فقد أصبح من المحتم أن يعرف كل فرد فى الأمة كيف يتصرف فى حالة قيام حرب، وكيف يتقى الأخطار التى

وقعوا فى الأسر، ولم يعد لهم شر يخشى منه ، أما خلف الجبهة فيجب أن تضطلع النساء بكل الأعمال والوظائف التى يمكنهن القيام بها.

التجنيد الإجبارى:

أما قاعدة التجنيد الإجبارى التى تفرض على جميع الرجال القادرين حمل السلاح، والقيام بعمليات الهجوم على العدو والدفاع لصده، فليس هناك فى أنظمة الأمم الحديثة ما هو أعدل وأنفع وأصح للجماعة والبشرية من هذا النظام الذى يهيئ للأفراد فى زمن السلم فرصة رائعة لتقوية أبدانهم وتحسين صحتهم وتعويدهم النظام والطاعة التى لا يتم بدونهما عمران، وصبغهم بصبغة الرجولة والاتزان والتوحيد بين صفوفهم، وإشعارهم بالمساواة الحقيقية بين أبناء الأمة الواحدة، لا فرق بين غنى وفقير ولا كبير وصغير، وأن الجميع أسرة واحدة لها مصلحة واحدة وغاية واحدة، تجتمع كلها تحت لواء واحد، هو رمز لأسمى ما تصبو إليه الجماعة وتكرمه من حرية واستقلال ودين ومجد.. فإذا جاءت الحرب هب الجميع أقوياء مدربين ليدفعوا عن الوطن العدو المشترك الذى إذا قدر له النصر فسيحل الذل والويل على الجميع ابتداء من رأس الدولة إلى آخر العامل

القوم» (*) و عنه قال: «كان النبى ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه فيسقين الماء ويداوين الجرحى» (*) وقالت أم الربيع بنت معاذ رضى الله عنها : «كنا نغزو مع النبى ﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة» (**). وقالت أم عطية رضى الله عنها: «غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى»(***) .

وقد كان ذلك الاشتراك من جانب النساء عندما كانت الحرب لا تزال مقصورة على عدد صغير من الفرسان المحاربين يصطدم فى معركة لبضع ساعات، أما اليوم وقد أصبحت الحرب تستغرق سنين وأعواما تقفر فيها المزارع والمصانع ودور الأعمال من الرجال، والحرب فى البيوت والمنازل والشوارع والطرقات، والطائرات تخبط خبطا عشوائيا لا تفرق بين رجل وامرأة، فقد زادت التكاليف التى تقع على عاتق النساء غير أنهن كقاعدة عامة لا يجب أن تكون لهن وظيفة فى جبهة القتال إلا التمريض لجميع الجرحى على السواء، حتى ولو كانوا من الأعداء متى

(*) رواه مسلم وابو داود والترمذى.
(**) رواه البخارى.
(***) رواه مسلم.

كبيرا عاقبه الرسول وبقية المسلمين بالمقاطعة والتفرقة بينهم وبين نسائهم والنبذ من الجميع، فظلوا يعانون كربا عظيما ويبكون تائبين مستغفرين الليل والنهار، فلا يقبل منهم الرسول ندما أو استغفارا، حتى نزل القرآن بالصفح عنهم، على شريطة ألا يعودوا لفعلتهم الكبيرة حيث قال:

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

فالتجنيد الإجبارى هو إحدى الدعائم التى قام عليها النظام الإسلامى قبل أن تعرفه أوروبا بثلاثة عشر قرنا من الزمان.

الاستعانة بالمحالفات:

وثمة عنصر آخر ينبغى للأمة المحاربة أن تعده لتستكمل جميع أسباب القوة والأسلحة، وهو المحالفات والمعاهدات التى لا تدع الأمة بمفردها إذا قامت الحرب، بل تجد إلى جوارها فورا حلفاء أقوياء أشداء مخلصين، فما من أمة مهما بلغت قوتها العسكرية الدفاعية أو الهجومية بآمنة على نفسها إن لم يكن لها حلفاء يقفون إلى جوارها فى ساعة الشدة، وكلما كانت الأمة صغيرة

الصغير.

فالتجنيد الإجبارى هو نظام من أروع النظم ، التى شادت عليها أوروبا عظمتها الحربية الحديثة.

والإسلام أو بالأحرى القرآن يجعل التجنيد إجباريا وفرضا أساسيا على كل من قدر على حمل السلاح فى حالة الحرب الدفاعية التى يهاجم فيها العدو الأجنبى أرض المسلمين، وفى جميع الحالات الأخرى التى يرى فيها الإمام وجوب ذلك التجنيد الإجبارى، فالقرآن يقول: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ والخطاب فى هذه الآية موجه إلى جميع المكلفين من الذكور القادرين على القتال، وقد أمر القرآن المسلمين فى آية أخرى بوجوب النفرة إلى القتال فى قوله: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ وقال رسول الله ﷺ تطبيقا لهذه الآية: (إذا استنفرتم فانفروا) أى كلما دعا الإمام إلى القتال فقد وجبت تلبية دعوته، ولم يستثن القرآن أو السنة أحدا من تلبية دعوة الإمام للحرب فى جميع الحالات، إلا أن يكون الشخص مريضا أو ضعيفا أو ذا عاهة تحول بينه وبين القتال.

ولما تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ثلاثة بغير إذن من الرسول أوعذر مانع يبيح لهم التخلف، كان عملهم هذا جرما

النصر

فإذا تم للأمة استعدادها العسكرى فى السلاح والرجال، وشد أزرها الحلفاء الأقوياء، فقد أصبح فى قدرتها إذا خاضت معمعان حرب فرضتها الضرورة، سواء أكانت دفاعا أم هجوما، أن تواصل الحرب إلى نهايتها الناجحة بأن تحرز النصر على شريطة أن تدفع ثمنه. وما أدراك ما ثمن النصر؟ هو بلوغ ذروة الكفاح فى الحياة وغايتها، هو هذه اللحظة التى يشعر فيها المنتصر بنفحات الرب الكبرى تغمره، فيتذوق حلاوتها فى جرعة واحدة فيتم له البقاء والخلود.

النصر هو البلسم الشافى لكل ما تحدثه الحرب من جراحات وهو الذى ينسى الآلام ويبدد الهموم والأحزان.. وهو الذى يعيد النوم إلى الجفون التى أرقها السهاد، والأكسير الذى يحول كل شئ إلى ذهب، هو ماء الحياة الذى ينفخ الروح فى كل شئ، وبخاصة فى أجسام الشهداء الذين لاقوا مصرعهم فى سبيل النصر، فإنها لاتلبث أن تطرب وتسعد فى العالم الآخر وتحتفل بالنصر احتفال الأحياء.

أصبح التحالف مع غيرها أمرا حيـويا ضروريا لحفظ كيانها، على شريطة أن تحسن اختيار حلفائها ممـن يرتبطون بها برباط المصلحة المشتركة، وممن يلبون نداءها إذا جـد الجد ووقعت الواقعة، فكلما كان الحلفـاء يرتبطون فوق رباط المصـلحة برابطة الديـن أو اللغة أدى ذلك إلـى جعل المحالـفة أكثر فاعليـة بل جعـل منها ركـنا ركينا(*).

(*)ولذلك فليس يمكن أن يوجد فى العصر الحديث تحالف فى العالم أقوى أساسا، واكثر فاعليـة من تحالف هجومـى دفاعى يقوم بيـن الأمم العربية التى لا تشترك فى مصـلحة واحدة فحسب، بل تشترك فى الدين واللغة و الثقافة والماضى والحاضر والمستقبل فهى أقرب إلى أن تكون أمة واحدة بـالفعل .. ومثل هذا التحالف العربـى قادر على أن يعيد مجد الإسلام ويرتفع بالأمم الإسلامية كلها إلى ذروة المجد والرفعة.

ويجـابهـوا الموت، فـلا يفـزعون أو يـفرون، وإنمـا يستبـسلـون ويستميتون مفضلين الموت على العار.

أما إذا دب الـهلع إلى نـفوسهم وفـزعوا من جـحيم المعـركة، وراعهم الموت فـرفعوا أيديهم مـستسلميـن، أو أطلقوا سيقـانهم للريـح، فهو الانـدحـار والذل، ولو كانـت الدولة من أعـظم دول الأرض طرا، وقد رأيـنا فى هذه الحـرب فرنسا تـخر صريعـة فى بضـعة أسابيـع بالرغـم من جيوشـها التـى تعد بـالملايين، والـتى قاومـت فى الحـرب الماضيـة أربع سـنوات كـاملة انـتصـرت فى نهايتهـا، ثمنا لثباتها ومـقاومتها، أما هذه المرة فقـد خارت عزيمة أبنائها الذين ركنوا إلى الحياة واقبلوا على ملذاتها، فكان نصيبها الهزيمة والـفشل وسط دهشة العالـم وذهوله بينما ثبـت الانجليز وصبروا فنجوا من المصير الذى صارت إليه فرنسا، وثبت الروس ثباتـا عجيبا بالـقرب من مدنهـم العظمى فـى لينتجراد ومـوسكو وعنـد ستالـين جـراد، فكان ثـباتهـم هو نقـطة الـتحول فـى هذه الحرب، وإذا قدر للحـلفاء أن ينتصروا فى هذه الحـرب فسيكون للروس القدح المعلى فى هذا النصر بما ثبتوا وسخروا بالموت.

ولما كان الـثبات هو روح الحرب وثمـن النصر، فقد جـعله الله فريضة على المـسلمين المحاربين، وجعل الفرار مـن ميدان القتال هو أكبر الكبائر التى يرتكبها إنسان فقال عز وجل :

ولذلك أقول لا يوجد ثمن يساوى النصر مهما عز وغلا!. فكل خسارة فى سبيله غنم وربح، فمئات الألوف التى استشهدت، وألوف الألوف التى نكبت، وألوف المدن والقرى التى خربت ودمرت، وكنوز الذهب التى أنفقت، كل هذه لاتساوى شيئا إزاء النصرالكامل، لأن النصر يردها كلها أضعافا مضاعفة بما يجلبه معه من قوة روحية وفيرة، تصلح مافسد وتبنى ماهدم، وتعمل بعد ذلك إلى التقدم بالإنسانية خطوات فى سبيل التطور والارتقاء.

النصر هو ينبوع الحياة ،والارتقاء للشعوب والأفراد الذين يحصلون عليه، فكل من أخطأه النصر فردا كان أو جماعة، وكف عن السعى لإحرازه من جديد فمصيره المحتوم إلى التدهور فالفناء!. لأن الحياة هى الكفاح فالانتصار فالخلود، أو هى الاستسلام فالهزيمة فالفناء.

ثمن النصر:

وليس للنصر من ثمن إلا الثبات، ولك ما حدثتك عنه من استعداد فى السلاح والطائرات والرجال والتحالف لا يعدو كله أن يكون جسدا بغير روح، أو محركا بغير وقود، فلا غناء فيها ولا خطر مالم تحل الروح الجسد ويمد المحرك بالوقود، لا نصر لجنود لم يثبتوا فى ميدان القتال ويصبروا على حر المعركة

إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ولا تحدثهم عن الشجاعة والمغامرة والبذل فى سبيل الله، إلا قالوا لك ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ حتى الصلاة لم يحفظوا من أصولها وقواعدها إلا حديثا واحدا (من أم بالناس فليخفف) .

وهكذا لاذوا بهذه العبارات التى لم يدركوا حقيقة معناها وهى كلها تقوم شاهدا على بطلان مايفعلون، وما يتصفون به من صفات وضلال، فكان أن ضعفت الهمم وفترت العزائم وانحلت الوشائج وخبا نور الإيمان والعلم وعم الظلام والجهل، ووصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه من الدرك الأسفل من جحيم الدنيا وجحيم الآخرة كذلك، إلا أن يتداركهم الله برحمته، هل الإسلام إلا هذه الآيات البينات والأحاديث المحكمة التى يأخذ بعضها برقاب بعض لقيادة المسلمين إلى موطن العزة والسعادة فى الدنيا والآخرة؟ هل الإسلام إلا قول القرآن:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ⑮ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾.

ولقد صدع المسلمون الأوائل بهذا الأمر فثبتوا ثبات الجبال فى كل قتال خاضوه، وباعوا أرواحهم بيع السماح فانتصروا على أعظم جيوش العالم فى ذلك الوقت، وهم حفنة من الألوف تعد على الأصابع، وكان الآخرون يفوقونهم فى العدد والعدة، ولكنهم فقدوا الثبات واستحبوا الحياة على الموت، فخسروا المعركة جبانة ونذالة، ثم أدركهم الموت الذى كانوا منه يفرون.

مسلموا العصر الحديث:

فأعجب - وهذا شأن المسلمين الأوائل وتلك أوامر القرآن ونواهيه - كيف تصور بعضهم الإسلام على أنه استسلام للمقادير والأعداء جبنا وخورا !. وتصيدوا من القرآن والأحاديث فقرات أساءوا تأويلها، فسروها حسب أهوائهم ليبرروا ماهم عليه من هوان وضعف، فما تدعوهم إلى الجهاد إلا ويقولون لك﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ولاتدعوهم إلى أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر إلا وردوا عليك بآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ

البشر التى فقدت همتها وكل فضيلة اجتماعية وقعدت عن كل كفاح وجهاد فى سبيل تحسين حالها ومعاشها وتحرير أنفسها، هى خير أمة أخرجت للناس أيجرأ مسلم واحد يفهم حقيقة الإسلام على الإدعاء بأن الله يرضى عن هذا النفر الذى اطمأن إلى الرذيلة وقبل أن يسوده الأجنبى، وهو المأمور برفع راية الإسلام فوق العالمين، وشاهدا على من سبق وحضر: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

لست أشك لحظة أن كثيرا من مسلمى هذه القرون الأخيرة التى هوى فيها الإسلام إلى هذه الهاوية، إنما هم مسلمون بالاسم والتقليد، لكنهم يجهلون كل شئ عن حقيقة الإسلام وجوهره، وأن القرآن إنما يخاطب هذه الأمة الإسلامية العزيزة التى سادت العالم ونشرت لواء التوحيد والفضيلة فى ربوع العالمين!. لست أشك لحظة فى أن القرآن يتحدث عن هذا النفر من المسلمين الذين كانوا ينشدون النصر أو القبر ويقول قائلهم:

لست أبالى حين أقتل مؤمنا على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولست أشك لحظة كذلك أنه لم يحل دون نهوض المسلمين من كبوتهم وإقالة عثرتهم إلا وقوعهم فى براثن الاستعمار الأجنبى الذى قتل فيهم روح الإحساس والتفكير، فتبلدت

عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾

هل الإسلام إلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

وقوله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ .

وهل المسلمون إلا الذين عناهم القرآن بقوله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

فهل يصدق هذا الوصف على كثير من مسلمى هذا الزمان؟ أيمكن أن يتصور عاقل أن هذا العدد الضخم، وهذه الملايين من

ولكـن فى سبيـل الخالق الحـى الدائم الخالـد، وفى سبـيل تطهـير بلادهم من دنس العبودية والذل لغير الواحد القهار، الذى لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفوا أحد.

* * *

إن هدفنا هو أن نـخلق من مصر والعرب قوة عسـكرية كبرى تعيد الأمبراطـورية العربية، وتحرر الأمم الإسلامية، وتـبسط على العالم لواء العدل والإنصاف والحق واليقين.

وسأظل أجـاهد أنا وإخوانـى فى هذا السبـيل حتى الـنصر أو الموت، فإذا قـدر لنا أن نموت قـبل إتمام المهمـة فقد أصبـح المضى حتى آخر الشوط هـو واجبكم، فكونوا أنتم أسعـد حظا منا، وإذا قدر لكـم أن تسقطوا بـدوركم فاعهدوا إلى أبـنائكم بحـمل هذه الأمانة، أعدوهـم إبان حـياتكم لتنفيذ هذه الوصـية المقدسة، وهى أن يكونوا محـاربين شجعانا يثـبتون فى القتال حتـى ينتصروا أو يموتـوا ، ومهما تبـاعد العهد بيـننا وبينـكم .. مهما طـال الزمن وتوالت الحقب التى تفصلنا عنكـم أنتم يامن قدمتم على أيديكم النصر الذى نشقى من أجله، وسنجـود بأرواحنا فى سبيله، تعالوا إلى قبورنا وأبلغـونا النبأ، لأننا سنظل نرقب فى قـلق ولهفة ختام

طباعهم ونضبت فضائلهم، ولكنى أحس إحساسا عميقا أن هذه السحب التى غشت حياة المسلمين قد آذنت بالانقشاع، وأن الضربات الشديدة التى حاقت بهم، والمهانة التى لحقتهم قد أيقظتهم من سباتهم فبدأوا ينفضون التراب الذى كاد يطفئ نور أعينهم، ويحركون الأذهان التى كاد يشملها الجمود.

إن العالم الإسلامى اليوم تسوده يقظة رائعة وهو فى حالة انتباه نفسية وروحية، ولكنه لن يأخذ طريقه الحق نحو الحياة والمجد والعزة التى فرضها الله عليه إلا بعد خلع رداء هذا الاستعمار الرهيب، ولا سبيل إلى خلع هذا الاستعمار إلا بالقوة، والقوة العسكرية التى تمد بها الدول الإسلامية بعضها بعضا، حتى تقهر الأمم المعتدية بقوة السلاح فترتدع عن غيها، وتعود إلى وكرها وتلتزم حدودها.

لقد شاهدنا وسمعنا فى هذه الحرب عن ألوف من الألمان يموتون وهم يهتفون المجد لهتلر، وعشرات الألوف من اليابانيين وهم يسقطون صرعى فى سبيل الأمبراطور، فلابد أن يصبح المسلمون كهؤلاء بل أعظم من هؤلاء، لأنهم لن يهتفوا باسم مخلوق مثلهم، ولن يكون مثلهم الأعلى دنيا يصيبونها أو مالا يغنمونه، أو شهوة جامحة يطفئونها بالموت والتقتيل وإراقة الدم،

الفهرس

المعركـة، فإذا سمعـنا كلمـة النصر السـامية والنـفحة الغـالية، إذا سمعنا بأن مصر والعـرب قد أعادوا المجد و أصبح لواء الإسلام يخفق تحت الشمس حرا كريما في جميع ربوع العالمين، في هذه اللحـظة فقط سـتستقـر عظامنـا في قبورهـا، وتترنم أرواحنـا في ابتهاج وحبور في مسارحها مرددة نشيد النصر الإلهي - الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر - صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

كتب للأستاذ/ مجدى أحمد حسين

١ ـ الجهاد صناعة الأمة.

٢ـ أحكام القرآن الكريم فى موالاة الكفار والمشركين.

٣ـ فقه التغيير السياسى فى الإسلام.

٤ـ أزمة الخليج وحرب الأفغان.. بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان.

٥ـ من كامب ديفيد إلى مدريد.

٦ـ هموم الأمة مع نهاية القرن.

٧ـ مصر والسودان (التمرد ـ الحصار ـ الإنقاذ).

٨ـ الإسلام والعروبة.

٩ـ أمريكا .. طاغوت العصر.

١٠ـ الخيانة .. الملف الأسود للزراعة فى مصر.

عزيزى القارىء:

إذا أردت الحصول على أى من اصدارات المؤلف، اتصل بـ:

٤٧٨١١٦٧ أو محمول ٠١٢/ ٣٣٧٥٤٠٤

أو راسلنا على البريد الالكترونى :

Tarekalkarket@Hotmail.com

الموضوع | الصفحة

كتب للأستاذ / عادل حسين

١ - إيران.. الدولة الإسلامية ماذا تعنى ؟.

٢- الجبهة العربية الإيرانية ضد الحلف الصهيونى الأمريكى.

٣- بلغنا حافة الحرب .. إسرائيل تحت الحصار والتهديد.

٤- مؤتمر مدريد ومستقبل التسوية.

٥- الخليج الأمريكى .. العربى سابقا.

٦- الإسلام دين وحضارة.

إصدارات أخــرى

١- الإسلام والمرأة. تأليف : أحمد حسين

٢- فلسطين .. والحقائق القرآنية. تأليف : د. صلاح الخالدى

٣- من أجل مصر .. أعارض بكل حرية. تأليف: د. محمد حلمى مراد

عزيزى القارىء :

إذا أردت الحصول على أى من هذه الكتب، اتصل بـ:

٤٧٨١١٦٧ أو محمول ٠١٢ / ٣٣٧٥٤٠٤

أو راسلنا على البريد الالكترونى :

Tarekalkarket@Hotmail.com